الفصل الثاني

كتابات أبن أبى طى عن تاريط حلب

نتناول فى هذا الفصل دراسة كتابات ابن أبى طى عن تاريخ حلب فى فترة تعد من أكثر الفترات اضطرابا فى تاريخها السياسى، حيث تعاقب على حكمها العديد من الملوك فى خلال فترة وجيزة (٥٠٨ ـ ٥٢٠ هـ/ ١١١٤ ـ ١١٢٦ م)، فى خلال السنوات الأخيرة من الحكم السلجوقى فيها (٥٠٨ ـ ٥١٢ هـ/ ١١١٤ ـ ١١١٨)، وفى فترة الحكم الأرتقى بها (٥١٢ ـ ٥١٨ هـ/ ١١١٨ ـ ١١٢٤ م)، وفترة ولاية أمير الموصل آق سنقر البرسقى القصيرة لها حتى مقتله فى عام ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م، كما شهدت أيضا حلب فى شهر شعبان عام ٥١٨ هـ/ أكتوبر عام ١١٢٤ أقوى حصار تعرضت له من عدة قوى صليبية وإسلامية، وقد تميزت كتابات ابن أبى طى عن معظم هذه الأحداث وانفرد بكثير منها، كما كشف خلال إحدى رواياته عن العديد من المصادر التى رجع إليها.

كما سنعرض لابن أبى طى روايات أخرى هامة تتعلق بالآثار الدينية فى حلب، وعلى الأخص المشاهد الشيعية بها، وأيضا كتاباته عن موقف الشيعة الإمامية من المذاهب والفرق الأخرى فى حلب، وهى تعد من أهم كتاباته على الإطلاق، لأنه كشف خلالها العلاقة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة، وأيضا علاقتهم مع الشيعة الإسماعيلية، وأتاح لنا ذلك فهم كتاباته فى موضوعات أخرى.

وقد أمدنا المؤرخ ابن الفرات فى كتابه «تاريخ الدول والملوك» بمعظم كتابات ابن أبى طى فى هذا الفصل، كما أفادتنا النصوص التى حفظها له المؤرخ «عز الدين بن شداد» فى كتابه «الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة»، فى كتابة الآثار الدينية فى حلب، وأفادتنا أيضا كتابات المؤرخ ابن الشحنة فى كتابيه «نزهة النواظر» و «الدر المنتخب» فى هذا الموضوع، هذا فضلا عن بعض المراجع الحديثة الخاصة بتاريخ حلب، والتى أشارت

إلى رواية ابن أبى طى عن هذه الآثار.

أولا – التاريخ السياسى:

تاريخ حلب فى نهاية الحكم السلجوقى (٥٠٨ ـ ٥١٢ هـ/ ١١١٤ ـ ١١١٨):

حلب فى عهد ألب أرسلان بن رضوان بن تتش:

خلف الملك «ألب أرسلان»[١] والده الملك «رضوان بن تتش» (٤٨٨ ـ ٥٠٧هـ / ١٠٩٥ ـ ١١١٣ م) فى ولاية حلب، ولم تستمر ولايته لها سوى عام واحد (٥٠٧ ـ ٥٠٨ هـ/ ١١١٣ ـ ١١١٤ م)، ووصلنا من كتابات ابن أبى طى أحداث هامة انفرد بها عن الأشهر الأخيرة من عهده فى عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م، أوضح من خلالها تفاصيل المخطط الذى وضعه الخادم «لؤلؤ اليايا» للتخلص من ألب أرسلان لكى ينفرد بحكم حلب، وقدم ابن أبى طى لهذه الأحداث بعرض نبذة عن لؤلؤ الخادم، تضمنت ألقابه وتطور أحواله قبل بلوغه مكانة كبيرة فى عهد ألب أرسلان، وكان ابن العديم قد ذكر عنه انه كان خادما «لتاج الرؤساء بن الخلال»[٢] قبل وصوله إلى حلب[٣].

---

(١) هو تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تُتش : تولي حلب عقب وفاة والده في جمادى الآخرة عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م ، وكان يبلغ السادسة عشر من عمره ، وعرف بالأخرس لأنه كان في كلامه تمتمه ، وقيل عنه أنه كان متهورا ، قليل العقل ، قبض علي جماعة من خواص أبيه ، فقتل بعضا وصادر أموال البعض الآخر ، وساءت سيرته في حلب إلي الحد الذي لا يرجي له صلاح ولا إصلاح ، وقتله مدبر دولته لؤلؤ اليايا في ربيع الآخر عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م . (ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٣٠١ ، ٣٠٤ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢) .

(٢) هو تاج الرؤساء أبا منصور بن الخلال الرحبي : عمل مع قسيم الدولة آق سنقر عند ولايته حلب عام ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م ، وذكر ابن العديم أنه : « ولي علي جمع المال بحلب في الديوان » (زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٣) .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

قال ابن أبى طى: «كان الأمير محيى الدين شرف الملوك نصير أمير المؤمنين أبو العز لؤلؤ الملكى المسمى يايا الخادم خادما لتاج الرؤسا بن الخلال، وزير الأمير قسيم الدولة أقسنقر[١] الحاجب الذى كان صاحب حلب، فلما قتل أقسنقر أخذ الملك تاج الدولة تتش[٢] صاحب دمشق لؤلؤ المذكور، وظهر منه سداد تقدم به، وكان شجاعا باسلا، سديد الأرا، وتنقلت به الأحوال إلى أن صار أتابك عسكر الملك تاج الملوك ألب أرسلان الأخرس بن الملك فخر الملوك رضوان بن الملك تاج الدولة تتش صاحب حلب ومدبر أمره، واستولى على حلب فى محرم من هذه السنة (٥٠٨ هـ)»[٣].

ثم تناول ابن أبى طى تفاصيل المخطط الذى وضعه لؤلؤ الخادم لإحكام سيطرته على

قلعة حلب، والتغييرات الإدارية التى قام بها لتسهيل مهمته فى التخلص من الملك ألب أرسلان، وانفرد بمعظم هذه التفاصيل، وكان ابن العديم قد أشار إلى أحد هذه التغييرات[٤]، وتناول مقتل ألب أرسلان بإيجاز[٥].

قال ابن أبى طى: «دبر فى الإيقاع بالملك ألب ارسلان، وواطأه على ذلك جماعة من الجند والأتراك، فداخل ألب أرسلان و.... حتى صار أمر القلعة إليه وصارت المفاتيح لا تبيت إلا عنده، ثم قبض على الوزير «ابن السرطان»[٦]، وأعاد الوزارة إلى «ابن الموصول»[١]

---

(١) هو قسيم الدولة آق سنقر التركي : تولي حلب في عام ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦ م، وظل واليا عليها حتى قتله تاج الدولة تتش في عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م (المصدر نفسه، ص ١٠٣، ١١٢).

(٢) هو تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان : تولي دمشق في عام ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨ م، وظل واليها عليها حتى قتل في صفر عام ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م. (ابن القلانسي : تاريخ دمشق، ص ١٨٣، ٢١٢).

(٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك، م ١، ج ١، ورقة ٨٢ (نقل المعنى العام لنص ابن أبي طي)

(٤) وهي قيام لؤلؤ الخادم بإعادة « ابن الموصول » إلي الوزارة، ولم يشر إلي قيامه بعزل الوزير ابن السرطان، وإعادة ابن بديع إلي رئاسة حلب. (زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٧١).

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٦) هو أبو الرجاء سعد الله بن هبة الله بن السرطان الرحبي : تولي الوزارة في حلب عدة مرات، فيظهر من نص ابن أبي طي أنه تولاها عقب عزل الملك ألب أرسلان الوزير ابن الموصول في عام ٥٠٧ هـ/

والديوان، وقرر معه الإيقاع بالملك ألب أرسلان، فلما كان فى آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة، شرب الملك الب أرسلان ودخل إلى داره، فقام لؤلؤ هو وجماعة من الذين واطأوه، ودخلوا عليه وهو نايم فى داره بالقلعة فقتلوه وقتلوا زوجته واكثر جواريه وخدامه»[٢].

وعرض ابن أبى طى بعد ذلك تفاصيل الإجراءات التى اتبعها لؤلؤ الخادم مع كبار الأمراء والأجناد فى قلعة حلب وخارجها حتى تمكن من بسط سيطرته تماما عليها، وانفرد أيضا بكل هذه التفاصيل الهامة، فقال: «ثم خرج لؤلؤ إلى مركز القلعة ودعى

القلعيين واحدا واحدا، واستحلفهم لنفسه، فمن يأبى قتله حتى قتل منهم سبعة عشر رجلا، ولما تكامل سجلات جميع القلعيين أمر بباب القلعة، ففتح ودعى الرييس «ابن بديع»[٣] رييس حلب، فلما حصل عنده أراه رأس الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان، وأمره أن يحلف فحلف ودعى بكبراء البلد ومقدمى العسكر واحدا واحدا حتى اخذ عليهم جميعهم الأيمان، وأصبح هو مالك القلعة، ودفن الملك ألب أرسلان، ولم ينتطح فيه

١١١٣ م ثم عزله منها لؤلؤ الخادم في ذلك العام ، ثم ولاه الوزارة مرة أخرى في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، ثم عزله بعد مدة ، وتولى الوزارة أيضا في عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م (المصدر نفسه ، ص ١٧٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩) .

(١) هو أبو الفضل هبة الله بن عبد القاهر بن الموصول : تولي الوزارة للملك رضوان بن تتش في عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، وظل وزيرا له حتى وفاته في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ، ثم تولي الوزارة لابنه الملك ألب أرسلان ، وبعد عدة أشهر عزله من الوزارة وقبض عليه ، ولما استولى لؤلؤ الخادم على زمام الأمور في حلب أعاده للوزارة ، ثم قبض عليه في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، ثم أعاده مرة أخرى للوزارة ، وتوفي ابن الموصول في حلب في صفر عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م . (المصدر نفسه ، ص ١٣٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٣) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٨٢ .

(٣) صاعد بن بديع : ولاه الملك رضوان بن تتش رئاسة حلب في عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، ولما تولي الملك ألب أرسلان حلب في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م قبض عليه وصادره ، ثم أطلقه فاتجه إلى قلعة جعبر ، ثم قتل على يد اثنين من الباطنية في عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٧٠ ، ١٨٦) .

عنزان»[١].

وكان مقتل الملك ألب ارسلان بعد عام واحد من ولايته إشارة هامة إلى بدء دخول حلب فى مرحلة جديدة سادت فيها الاضطرابات إلى حد أن اختلف المؤرخون حول ولاة الأمور فيها، ومن ذلك اختلفوا حول نسبة الملك الذى خلف ألب أرسلان فى حلب، فبينما ذكر العظيمى وابن الأثير وابن العديم أن لؤلؤ الخادم نصب بعده أخا صغيرا له، وهو «سلطان شاه بن الملك رضوان»، وكان يبلغ من العمر ست سنوات، ذكر ابن القلانسى وابن أبى طى أنه كان ابنا للملك ألب أرسلان وليس أخا له، كما اختلف ابن أبى طى مع العظيمى وابن الأثير وابن العديم حول توقيت ولاية سلطان شاه حلب، فبينما ذكروا أنه تولى حلب عقب مقتل ألب أرسلان فى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م، ذكر ابن أبى طى أنه تولاها فى ذى الحجة عام ٥١٠ هـ / ١١١٧ م. أما ابن القلانسى فلم يحدد تاريخ ولايته حلب، واتفق هؤلاء المؤرخون على قيام لؤلؤ الخادم بتدبير أمور حلب بعد وفاة ألب أرسلان فى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م حتى مقتله فى عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م[٢].

حلب فى عهد لؤلؤ الخادم:

لم نجد من كتابات ابن أبى طى عن عهده سوى روايتين، تناول فى الأولى علاقة لؤلؤ الخادم ووالى عزاز. أما الرواية الثانية فعرض فيها أسباب قتل لؤلؤ الخادم فى عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م.

علاقة لؤلؤ الخادم ووالى عزاز:

تعرضت بعض بلاد الشام لزلزال قوى وقع فى شهر جمادى الآخرة عام ٥٠٨ هـ /

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٨٢ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٥ ؛ العظيمي : تاريخه ، ص ٣٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٣ (رواية ابن أبي طي) .

١١١٤ م[١]، وكان «حصن عزاز»[٢]، من المناطق التى دمرت بعد الزلزال، وقد عرض ابن أبى طى تفاصيل هذا الموضوع ضمن أحداث عام ٥٠٩ هـ، وتناول فضلا عن خبر الزلزال العلاقة بين لؤلؤ الخادم ووالى الحصن قبل وبعد وقوع الزلزال، وانفرد بكل هذه التفاصيل، وكان ابن العديم قد أشار للعلاقة بينهما بإيجاز[٣]. قال ابن أبى طى: «وفى هذه السنة جات زلزلة خربت عزاز، وكان واليها رجل يقال له المرعراوى، وكان لؤلؤ قد اصطنعه ونوه باسمه وولاة قلعة عزاز، فلما حصل بها حدثته نفسه بالعصيان والاستبداد بالملك، وعجز لؤلؤ عنه، فسكت عما بلغه ورجع إلى الله تعالى، فجاءت زلزلة هدمت عزاز، فخرج الوالى منها ... به قوم من أصحاب لؤلؤ فقبضوه وجاءوا به إليه، فواقفه على قبيح فعلته، ثم قتله بعد ذلك، وقد ذكر المرعراوى «..... البالسي» فى القصيدة التى مدح فيها لؤلؤ، وفيها «يقول»[٤]»[٥].

أسباب قتل لؤلؤ الخادم:

أثار هروب لؤلؤ الخادم من حلب ومقتله بعد ذلك فى ذى الحجة عام ٥١٠ هـ / ١١١٧ م جدلا بين كثير من المؤرخين، وأوردوا فى ذلك العديد من الآراء[٦]، وذكر ابن أبى طى أيضا ثلاثة آراء انفرد بهم، وأفرد للرأى الأول مساحة كبيرة، وهذا يشير إلى اقتناعه

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

(٢) عزَازُ : بليدة في شمال حلب ، وبها قلعة تعد من أمنع القلاع وأحصنها ، و لهذا تعد من أهم الثغور الإسلامية . (العماد الأصفهاني : سنا البرق ، ص ٩٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٣٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١١٨) .

(٣) انظر : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

(٤) أورد ابن أبي طي أربعة أبيات من الشعر تعذر علينا قراءتهم .

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .

(٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٥ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

به، وعلى العكس من ذلك ذكر الرأيين التاليين فى عدة أسطر، وأوردهما بصيغة التضعيف، حيث بدأ روايته بكلمة وقيل، مما يوضح انه ذكرهما فقط لاستيفاء الموضوع.

أوضح ابن أبى طى فى الرأى الأول أن اكتشاف لؤلؤ الخادم ما كان يتمتع به رئيس حلب «أبو البركات بن بديع» من نفوذ فى حلب، كان سببا لدخوله معه فى صراع انتهى بهزيمة لؤلؤ ثم فراره من حلب وقتله بعد ذلك، وهذا الرأى انفرد به ابن أبى طى وأورد فيه الكثير من التفاصيل الهامة. وبدأ كتاباته بعرض مراسم احتفال رئيس حلب بختان أولاده، وأوضح أن هذا الاحتفال أظهر لِلؤلؤ الخادم مدى ما كان يتمتع به الرئيس من نفوذ فى حلب إلى حد أقلقه، ولهذا أخذ يستعد لقمعه، فقال: «فى صفر منها (٥١٠ هـ) ختن الرييس «أبو البركات بن بديع»[١] رييس حلب أولاده، وألبس الحلبيين الكرارندات، و«الجواشن»[٢]، و«الزرديات»[٣]، والخوذ وأعطاهم السيوف و«الدرق»[٤]، وزق أولاده فى جميع حلب، وأظهر تجملا عظيما، وعبر تحت القلعة فأطلع الأمير لؤلؤ صاحب حلب ورأى ذلك فأرتاع له وبادر إلى غلق باب القلعة وقال لأصحابه يكون لرييس حلب هذا السلاح وهذا التجمل والناس له يطيعون هذه الطاعة وكيف أمنه على حلب أو على نفسى، وأخذ فى أعمال الحيلة على الإيقاع بالرييس»[٥].

---

(١) أبو البركات بن بديع : أورد ابن أبي طي خبر ولايته رئاسة حلب في عهد لؤلؤ الخادم ، ولم يذكره ابن العديم ، ولا ندري إن كان يرتبط بصلة بالرئيس « صاعد بن بديع » الذي أكد ابن العديم أنه خرج في عهد ألب أرسلان بن الملك رضوان من حلب إلى قلعة جعبر . (زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٧٠) .

(٢) الجواشن : جمع جُوشن وهي مثل الزرد يلبس على الظهر، والفرق بينهما أن الزرد يكون من حلقة واحدة ، والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٣ هامش (١) ؛ البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص ٩٣ - ٩٤) .

(٣) الزرديات : جمع زرد وهو الدرع . (ابن منظور : لسن العرب ، ج ٦ ، ص ٣٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١١) .

(٤) الدَرَق : آلة لاتقاء قذائف العدو ، وتكون من الجلد ، وخاصة جلد البقر أو « اللمط » وهو حيوان يعمر في الصحارى . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ؛ البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص ١٣٥) .

(٥) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٣ .

ثم عرض ابن أبى طى موقف كل من رئيس حلب ولؤلؤ الخادم بعد علمهما بحقيقة نوايا كل منهما، وأوضح أن رئيس حلب كان فى البداية متخوفا من مواجهته، ثم ما لبث

أن غير رأيه وزحف إلى قلعة حلب وحاصره بها، قال: «وبلغت مقالته الرييس فأحترز منه وامتنع من الخدمة وأظهر التمارض، فأرسل إليه الأمير لؤلؤ فى الحضور فامتنع وأعتذر بالمرض، وتواترت إليه الرسل وألح فى طلبه، فكاشفه الرييس وامتنع من الحضور إليه وقام على رسله واخرق لهم، وتضاعف الحال حتى جمع الرييس الحلبيين إليه، ونهض الأمير لؤلؤ وقاتله الرييس، وهزم رجاله وقتل أبطاله، وكبس دور الأمرا واعتقلهم ونهب أموالهم، وزحف إلى القلعة وقاتلها أشد قتال مدة عشرة أيام»[١].

وأورد ابن أبى طى بعد ذلك رواية هامة انفرد فيها بتحديد تاريخ ولاية «سلطان شاه» أمر حلب، فذكر انه خلال الصراع بين رئيس حلب ولؤلؤ الخادم نصبه رئيس حلب سلطانا، وأخذ فى تشجيع الجنود على الأخذ بثأر الملك ألب أرسلان الذى قتله لؤلؤ الخادم قبل عامين من تلك الأحداث، وساهم ذلك فى هزيمة لؤلؤ وهربه من حلب بعد ذلك

قال ابن أبى طى: «ثم إن الرييس أرسل إلى الملك «سلطان شاه محمد بن الملك ألب أرسلان ابن الملك رضوان» ونصبه سلطانا، و جمع عليه جماعة ممن..... له من الأجناد، وعظم عليهم فعلة الأمير لؤلؤ، وكيف أقدم على قتل سيده الملك ألب أرسلان، وسألهم المعاضدة له حتى يأخذ بثأر الملك أرسلان، فأجابوه إلى مراده، ولما ضاق الخناق بالأمير لؤلؤ استناب فى القلعة بعض أصحابه، وخرج فى جماعة من غلمانه فى الليل من «باب السر»، ومعه أموال عظيمة قاصد القلعة، «قلعة جعبر»[٢] يستشيره فى أمره»[٣].

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة١٠٣ .

(٢) قلعة جَعْبر : تقع علي الفرات بين بالس والرقة ، وتقع الآن وسط بحيرة سد الفرات. (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢، ص١٤١-١٤٢؛ ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، ص ٤٤٤، هامش (١)).

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة١٠٣ .

عرض ابن أبى طى بعد ذلك الرأى الثانى والثالث فى أسباب مقتل لؤلؤ الخادم، وبدأ روايته بتأكيد ولاية سلطان شاه بن ألب أرسلان حلب بعد هروب لؤلؤ، فقال: «لما خرج الأمير لؤلؤ الخادم من حلب قاصدا صاحب قلعة جعبر يستشيره فى أمره كما قدمنا شرحه، واستناب فى قلعة حلب من قبله من يحفظها، فتحوا للملك سلطان «الدولة»[١] محمد بن الملك ألب ارسلان بن الملك رضوان بن تتش بن ألب أرسلان الباب، وأقاموه ملكا بحلب»[٢].

ثم تناول ابن أبى طى فى الرأى الثانى الرأى الذى ذكره كثير من المؤرخين[٣] عن قيام لؤلؤ الخادم بتنصيب سلطان شاه ملكا على حلب، ثم أشار بإيجاز إلى مقتل لؤلؤ وتولى الأمير «يارقتاش»[٤] تدبير شئون حلب، فقال: «وقيل: أن لؤلؤ أقامه وجعله سلطانا، وأخذ أموالا وخرج بها ليجتمع «بصاحب قلعة جعبر»[٥] فقتل، فاستقام الأمر لابن ألب أرسلان وقام بأمره الأمير «الإصفهسلار»[٦] «يارقتاش الخادم» مملوك جده»[٧].

---

(١) سلطان الدولة : لم يرد في كثير من المصادر التي بحثنا فيها أن سلطان شاه كان يعرف أيضا بسلطان الدولة ، ولعله لقب له انفرد ابن أبي طي بذكره .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٣ .

(٣) العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٤) هو شمس الخواص يارقتاش : خدم في جيش الملك رضوان بن تتش ، وتولي قيادة العسكر وإقطاع الجند في حلب بعد وفاة ألب أرسلان بن رضوان في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، ثم اعتقله لؤلؤ الخادم في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م ، وأطلقه بعد عام فسار إلي دمشق ، ثم دخل حلب بعد مقتل لؤلؤ الخادم في عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م ، وتولي تدبير شئونها للملك سلطان شاه ، وبعد شهر من ولايته حاول بسط سيطرته علي القلعة ، فمنع من ذلك فغادر حلب . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ، ١٧٢ ـ ١٧٩) .

(٥) هو شمس الدولة سالم بن مالك العقيلي : تولي قلعة جعبر في عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، وظل واليا عليها حتى وفاته عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م . (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، ٣١٩) .

(٦) الإسفسلارية : اسم لوظيفة من وظائف أرباب السيوف ، وترتيبها الثالث بعد الوزارة وصاحب الباب . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩) .

(٧) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٣ (نقل هنا المعنى العام لنص ابن أبي طي)

أما الرأى الثالث فقد عرض فيه ابن أبى طى ما قيل عن اتهام الأمير يارقتاش بقتل لؤلؤ، فقال: «وقيل: أن يارقتاش هو الذى باشر قتل لؤلؤ فى آخر ذى الحجة من سنة عشر وخمسمائة»[١].

أحوال حلب بعد مقتل لؤلؤ الخادم:

وبعد مقتل لؤلؤ الخادم تولى الأمير «يارقتاش» - كما ذكر كثير من المؤرخين - تدبير أمر الملك «سلطان شاه بن رضوان بن تتش»، ولم تستمر ولايته سوى شهر واحد

وهو شهر المحرم عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م، لأنه كان قد طمع فى بسط سيطرته على

قلعة حلب، فقبض عليه الأمراء الموكلون بحفظ القلعة بأمر «بنات الملك رضوان» وأخرجوه من حلب، وتولى بعده «ابن الملحى الدمشقي»[٢] تدبير أمر حلب[٣].

وقد كان لابن أبى طى رأى آخر اختلف فيه مع غيره من المؤرخين حول من كانت له السيطرة على شئون حلب خلال شهر المحرم، حيث ذكر فى أولى رواياته عن هذا الموضوع قيام ابن الملحى بتدبير أمر حلب، ثم أوضح فى رواية ثانية اشتراك يارقتاش مع ابن الملحى فى السيطرة على حلب، ثم ذكر تفاصيل الخطة التى وضعها ابن الملحى لإبعاد يارقتاش لكى ينفرد بتدبير أمر حلب.

أكد ابن أبى طى فى أولى رواياته عن أحوال حلب عقب مقتل لؤلؤ الخادم، ما ذكره من قبل بشأن تاريخ ولاية سلطان الدولة بن ألب أرسلان حلب عقب هزيمة لؤلؤ الخادم، ثم ذكر قيامه بمصادرة أموال لؤلؤ الخادم، فقال: «استقرت حال سلطان الدولة محمد ابن

---

(١) المصدر نفسه والورقة .

(٢) انفرد ابن أبي طي بترجمة هامة عنه سنذكرها في الصفحات القادمة .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٦ - ٣١٧ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٩؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان بن الملك تتش بن الملك ألب أرسلان السلجوقى صاحب حلب فى أول المحرم من سنة إحدى عشرة و خمسمائة ثم قال: وأول شيء بدأ به أن قبض على أموال الأمير لؤلؤ وأصحابه»[١].

ثم عرض ابن أبى طى كيف كانت حلب فى تلك الفترة مطمعا لبعض الإمارات الصليبية والإسلامية، فأوضح كيف استفاد أمير أنطاكية الأمير «روجر دى سالرنو»

(١١١٢ ـ ١١١٩ م / ٥٠٦ ـ ٥١٣ هـ)، من اضطراب أحوال حلب، وأضاف إليه أحد الحصون التابعة لحلب على الطريق بينها وبين دمشق، واتفقت التفاصيل التى أوردها ابن أبى طى عن ذلك مع غيره من المؤرخين، وأضاف ابن العديم تفاصيل أخرى حولها[٢]، قال ابن أبى طى: «وشرع فى مهادنة الفرنج، وسلم إليهم «حصن القُبة» مصانعة لهم»[٣].

تطرق ابن أبى طى بعد ذلك لأحوال حلب الداخلية، وانفرد بذكر المزيد من التفاصيل عن وزراء حلب فى تلك الفترة، كما أكد قيام ابن الملحى بتدبير شئون حلب.

قال ابن أبى طى : «وكان يدبر أمره «جلال الدولة شرف الكتاب أبو المعالى الملحى الدمشقي»، و أخرج الوزير «هبة الله بن أبى الفضل بن الموصول» من الحبس[٤]، واخذ خطه بعشرين ألف دينار، ووزر له «تاج الرؤسا أبو الوفا بن السرطان»، وصرف «أثير الملك»، وجعل الملك سلطان الدولة جلال الدولة الملحى فى القلعة وإليه تدبير الأحوال وأقام هو

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٨ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٩ ؛ حسين عطية : تاريخ أنطاكية ، ص ١٣٩ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٨ .

(٤) كانت آخر إشارة وردت عنه في كتابات ابن العديم قبل هذه الأحداث تشير إلي ولايته الوزارة للؤلؤ الخادم في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، ويظهر من رواية ابن أبي طي أنه قبض عليه بعد ذلك . (زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

فى «دار البركة» تحت القلعة»[١].

ثم ختم ابن أبى طى روايته الأولى عن أحوال حلب بذكر المحاولة التى قام بها أمير الرحبة الأمير «قسيم الدولة آق سنقر البرسقي» لبسط سيطرته على حلب، وتناول أيضا هذه المحاولة غيره من المؤرخين[٢]، وانفرد ابن أبى طى بينهم بتحديد مدة حصاره لها، فقال: «واتصل هذه الأخبار بالأمير «اقسنقر البرسقى المنعوت بقسيم الدولة»[٣] وكان فى الرحبة، فتوجه إلى حلب، ونزل عليها طامعا فى تملكها، فحاصرها ثلاثة وأربعين يوما، فلم يجد فيها مطمعا فرحل عنها عايدا إلى الموصل»[٤].

أما الرواية الثانية التى أوردها ابن أبى طى عن أحوال حلب فى شهر المحرم عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م، فقد تناول فيها تفاصيل العلاقة بين ابن الملحى ويارقتاش، وأمدنا بكثير من المعلومات الهامة التى انفرد بها عن ابن الملحى وأطماعه فى الاستقلال بتدبير أمر حلب، والمخطط الذى وضعه لإبعاد يارقتاش عن حلب.

فقال ابن أبى طى عن أطماع ابن الملحى فى الاستقلال بتدبير أمر حلب: «فى شهر المحرم دبر ابن الملحى على الأمير يارقتاش وأخرجه من حلب واستبد بأمرها. ثم قال: وكان

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٨ .

(٢) ابن القلانيسي : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٣) هو أبو سعيد آق سنقر البُرْسُقي الغازي الملقب قسيم الدولة سيف الدين: ولاه السلطان محمد بن ملكشاه الشحنة في بغداد في شعبان عام ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥ م ، ثم أقطعه الرحبة،وولاه الموصل في عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م ، ثم أقطعه السلطان محمود بن محمد الموصل والجزيرة وسنجار في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١م ، و واسط وأعمالها في عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢ م وكان من كبار الأمراء في دولة السلاجقة ، وقتل في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م، وسوف نذكر في القسم الثاني من هذا الفصل الترجمة التي أوردها عنه ابن أبي طي . (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٢) .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١٠٨ .

ابن الملحى رجلا عظيما يحدث نفسه بالملك، واخذ فى تقرير الحال لنفسه، وأفضى بذلك إلى جماعة، وذلك فى ثانى عشرين محرم، فثقل أمره على جماعة الحلبيين وقالوا: ما نولى علينا دمشقيا، وصاروا إلى سلطان الدولة بن ألب أرسلان وسألوه عزله، فيقال أن ابن الملحى دس عليه من سمه والله أعلم . ثم قال: «وقيل دبر عليه حتى أخرجه من حلب فصار إلى «المشرق»[1]»[2].

ثم أورد ابن أبى طى ترجمة هامة عن ابن الملحى انفرد فيها بذكر تطور أحواله حتى مقتل لؤلؤ الخادم، فقال: «وكان جلال الدولة شرف الكتاب أبو المعالى بن الملحى المذكور أديبا فاضلا عاقلا، وكان يتكلم بالتركية، فيجيد ويعمل جميع أعمال الجندية، مضافا إلى جودة الخط وكثرة الأدب، وكان يركب بالقبا والقلنسوة على هيئة الأتراك.

وكان فى ابتدا أمره عارضا لجيش الملك رضوان بن الملك تتش بن السلطان ألب أرسلان صاحب حلب، وخطى خطوة ونبغ نبوغا عظيما. وكان الأمير لؤلؤ لما استولى على الأمر بحلب بعد الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان كما قدمنا شرحه، جعل جلال الدولة بن الملحى المذكور فى جملة سلطان الدولة بن الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان مدبرا أمره، فلما جرى على الأمير لؤلؤ ما قدمنا شرحه، واستقرت حال الملك سلطان الدولة فى حلب، وكان سلطان الدولة صغيرا لم يبلغ الحلم غلب ابن الملحى على الأمور واحسن

---

(١) أشار هنا ابن أبي طي إلي الآراء التي قيلت حول مستقبل سلطان شاه بن رضوان ، وأوضح دور ابن الملحي في ذلك ، وقد أكد ابن العديم وابن الفرات ما ذكره عن انتقاله إلي المشرق ، ولكنهما اختلفا في تاريخ ومكان انتقاله ، كما لم يرد في كتاباتهم ذكر دور لابن الملحي في ذلك ، فذكر ابن العديم أنه صار إلي قلعة جعبر في عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م وأعيد في نفس العام بقرار من سليمان ابن إيلغازي بن أرتق - وكان نائبا عن والده في حكم حلب في ذلك الوقت - بينما ذكر ابن الفرات أن إيلغازي اعتقله بديار بكر عقب سيطرته علي حلب في عام ٥١٢ هـ/ ١١١٨ - ١١١٩ م ، وهناك المزيد من التفاصيل عنه سيذكرها ابن أبي طي في أحداث عام ٥١٨ هـ (ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٢)

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ١١٠ .

التوصل إلى الناس بمكره وحيله حتى انتقل إلى القلعة فى «رابع عشر» شهر الله المحرم من سنة إحدى عشرة هذه السنة»[١].

عرض ابن أبى طى بعد ذلك تفاصيل الخطة التى نفذها ابن الملحى لإبعاد يارقتاش عن حلب، فقال: «فابتدأ بإخراج الأمير شمس الخواص يارقتاش، وإنزاله من القلعة بحيلة لطيفة، وذلك أن قال له: أنا وأنت قد غلبنا على الأمور، وأنت تركى وأنا بلدى ومتى...، أما الحلبيين كرهونى....، والصواب أن أكون أنا فى القلعة وأنت فى البلد حتى تتم لنا الأمور، ففعل ذلك الأمير يارقتاش ونزل إلى المدينة، وسكن فى دار البركة ولما تيقن جلال الدولة بن الملحى نزول يارقتاش جمع من فى القلعة من الأجناد، وكان أكثرهم من دمشق وحمص وبعلبك..... لنفسه، وأمر بأبواب القلعة فغلقت، وصاحوا وركبوا.....، فظن الأمير يارقتاش أنه قد عمل عليه، فطار عقله، وركب فرسه بقميص ونعلين وخرج من «باب أربعين»[٢] بحلب هاربا على وجهه، وسار إلى الأمير «نجم الدين إيلغازى صاحب ماردين»[٣]»[٤].

هكذا كانت الأحوال فى حلب بعد مقتل لؤلؤ الخادم فى ذى الحجة عام ٥١٠ هـ / ١١١٧ م وخلال شهر المحرم عام ٥١٢ هـ / ١١١٧ م كما ذكرها ابن أبى طى، وكما

---

(١) المصدر نفسه والورقة .

(٢) باب أربعين : يلي الباب المعروف « بالباب الصغير » ، واختلف في تسمية باب أربعين بهذا الاسم فقيل أنه خرج منه مرة أربعون ألفا فلم يعودوا فسمي بذلك ، وهناك آراء أخرى في أسباب تسميته انظر . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٢) .

(٣) هو نجم الدين إيلغازي بن أرتق بن أكسب : كان من أمراء الملك « تاج الدولة تتش السلجوقي » في الشام ، ثم انتقل إلي بلاد الجزيرة الفراتية ، وملك « ماردين » في عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ - ١١٠٨ م ثم ملك حلب بعد أولاد الملك رضوان بن تتش في عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ - ١١١٩ م ، وملك أيضا ميافارقين قبل موته بعام ، وتوفي بها في رمضان عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ - ١١٢٣ م . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٩١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٣٨٦ - ٣٨٩) .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق م ١ ، ج ١ ، ورقة ١١٠ .

لاحظنا فقد أكد فى كتاباته عن تلك الفترة أن ولاية سلطان شاه بن ألب أرسلان الرسمية لحلب، أو سلطان الدولة كما سماه فى بعض الأحيان، بدأت عقب مقتل لؤلؤ الخادم، وأنه قام كل من ابن الملحى وياقتاش بتدبير أمور حلب فى بداية عهده، ثم نجح ابن الملحى فى إبعاد ياقتاش وانفرد بتدبير أمره، وهذا الرأى خالف آراء كثير من المؤرخين.

وقد أكد ابن أبى طى رأيه هذا فى رواية أخرى وردت فى أحداث عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ ـ ١١١٩ م، وفيها عقد مقارنة بين عدة آراء قيلت حول ولاة الأمور فى حلب فى تلك الفترة، منها: آراء بعض المؤرخين السابقين له، وأيضا رأى والده، ورأى أحد

قضاة حلب، فقال: «أن الأمير لؤلؤ انفرد بمملكة حلب بعد «الملك سلطان شاه»[1] ابن الملك ألب أرسلان بن الملك رضوان صاحب حلب، وولى بعده ابن الملحى. ثم قال: ورأيت فى تاريخ «ابن أبى جرادة»[2]، أن الملك سلطان الدولة ملك بعد أبيه الملك

رضوان، ولم يذكر لؤلؤ الخادم ولا ابن الملحى ، وقد ذكر «ابن القلانسي» كما ذكرت أولا[3]، ثم قال: وذكره «أبي» فى مجموعه، وكذلك وجدته فى مجموع القاضى «العدل بن

---

(١) في رأينا أنه حدث خطأ غير مقصود سواء من ابن أبي طي أو من ابن الفرات في كتابة هذا الاسم لأن ابن أبي طي أكد في كتاباته السابقة أن لؤلؤ الخادم انفرد بتدبير حلب بعد مقتل ألب أرسلان ، وأن سلطان شاه تولي حلب بعد مقتل لؤلؤ الخادم

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي جرادة : من بيت أبي جرادة في حلب ، واشتهر منهم عدد من الأدباء والفقهاء والقضاة الحنابلة ، وتفرد أبو الحسن في حلب بكثير من العلوم ، وكتب بخطه ثلاث خزائن من الكتب لنفسه ، وتوفي في عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م عن ثمان وثمانين سنة (ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٤٣٣، ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ؛ C . CAHEN : La Syrie De Nord , p . ٤١

(٣) كان ابن القلانسي قد ذكر ذلك في أحداث عام ٥١٠ هـ ، فقال : « وفيها وردت الأخبار من ناحية حلب ، بقتل لؤلؤ الخادم ، الذي كان غلب أمره فيها ، وعمل علي قتل ولد مولاه الملك ألب أرسلان ابن رضوان » ، واختلف ابن القلانسي مع ابن أبي طي ، وذكر قيام ياقتاش بتدبير أمر حلب قبل ابن الملحي . (تاريخ دمشق ، ص ٣١٥ ـ ٣١٧) .

دحم الحلبي»[١].

وهذه الرواية بالإضافة إلى ما تحمله من معلومات تاريخية كشفت لنا أيضا عن بعض النقاط الهامة التى توضح منهج ابن أبى طى فى الكتابة التاريخية.

فبالنسبة لمصادر كتاباته اتضح أنه كان يعتمد على كثير من الكتابات التى سبقته سواء كانت مصادر لمؤرخين مشهورين، أو «مجاميع» جمعها من هم من غير المؤرخين من كبار الشخصيات فى حلب، وهذا يفسر لنا أسباب انفراده بذكر الكثير من التفاصيل حول تاريخ حلب. ومن ناحية أخرى كشفت الرواية عن مصدرين من مصادر ابن أبى طى الهامة، والتى لم يصرح باعتماده عليهما سوى فى هذه الرواية، وهما المؤرخ الحلبى «ابن أبى جراده» (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)، والمؤرخ الدمشقى «ابن القلانسي» (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م).

كما ظهر منها أيضا أنه كان لوالد ابن أبى طى «مجموع» دون فيه كثير من الأحداث، والتى صارت بعد ذلك مصدرا هام من مصادر ابن أبى طى فى كثير من الكتابات التى اعتمد فيها على والده، وأخيرا كشف لنا تنويه ابن أبى طى عن «مجموع القاضى الحلبى العدل بن دحم» أنه كان على صلة بكبار الشخصيات فى حلب، سواء كانت هذه الصلة بحكم مكانة والده فى حلب، أو بسبب مكانة ابن أبى طى بعد ذلك بين مؤرخى حلب الكبار.

كما ظهر من هذه الرواية أيضا أحد ملامح منهج ابن أبى طى فى انتقاء مادة كتاباته وهو اهتمامه بمقابلة الروايات، واعتماده على الرواية التى اتفق عليها أكثر من مصدر.

هذا بالنسبة للآراء التى قيلت حول أحوال حلب فى عهد لؤلؤ الخادم (٥٠٨ ـ ٥١٠ هـ / ١١١٤ ـ ١١١٧ م)، والفترة التى تلت مقتله (آخر ذى الحجة ٥١٠ ـ المحرم ٥١١ هـ

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

/ ١١١٧ م)، أما بالنسبة لأحوال حلب بعد ذلك، فقد أكد معظم المؤرخين قيام «ابن الملحي» بتدبير أمر الملك «سلطان شاه بن رضوان» منذ آخر المحرم ٥١١ هـ / ١١١٧ م[١].

حلب فى عهد الأراتقة:

ثم خضعت حلب بعد ذلك لسلطة الأراتقة، وكان أول من تولاها منهم الأمير «نجم الدين إيلغازى بن أرتق» أمير ماردين، واختلفت هنا آراء كثير من المؤرخين حول تحديد الشهر والعام الذى تولى فيه أمر حلب، ويرجع هذا الخلاف إلى أنه كان قد قدم إلى حلب مرتين، الأولى كانت - كما حددها ابن القلانسى - فى شهر صفر ٥١١ هـ / ١١١٧ م، ثم غادرها واستمر بعد ذلك ابن الملحى فى تدبير أمور حلب للملك سلطان شاه بن رضوان[٢]، ثم جاء نجم الدين إيغازى إلى حلب مرة أخرى وتولى أمرها رسميا، وهنا اختلف المؤرخون حول تاريخ دخوله حلب، فذكر «العظيمي» أنه كان فى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م، وحدده ابن العديم فى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م[٣].

أما ابن أبى طى فقد ذكر تاريخا وسطا وهو عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م، ولكنه لم يحدد بدقة الشهر الذى دخل فيه إيلغازى حلب، وذكر فى ذلك تاريخين مختلفين، ولهذا نقده ابن الفرات بعد ذلك. فأورد فى الرأى الأول تاريخ تقريبى، فقال: «وكان متولى حلب حين خلف «المسترشد بالله» الأمير إيلغازى ابن أرتق»[٤].

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٧ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ ؛ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٧ ؛ وانظر أيضا : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٠ - ١٨١ ؛ ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٤ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

أما التاريخ الثانى فقد ذكره ابن الفرات أثناء نقده رأى ابن أبى طى الأول، فقال: «انتهى كلامه، وفى ما قاله نظر لأنهم قالوا أن خلافة المسترشد بالله كانت فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة، و«كذلك ذكر هو»[١]، وقال فى موضع آخر أن الأمير إيلغازى استولى على حلب فى «شعبان» من هذه السنة»[٢].

على أية حال استمرت ولاية «نجم الدين إيلغازى بن أرتق» لحلب حتى وفاته فى شهر رمضان عام ٥١٦ هـ/ ١١٢٢ م، وخلفه فى حكمها ابن أخيه «بدر الدولة سليمان ابن عبد الجبار»، ولكن لم تستمر ولايته لها - لسوء إداراته وضعفه - سوى بضعة أشهر حتى شهر جمادى الأولى عام ٥١٧ هـ/ ١١٢٣ م[٣]، حيث استغل ابن عمه

«نور الدولة بلك بن بهرام بن أرتق»، هذا الضعف وقام بحصار حلب منذ شهر ربيع الأول عام ٥١٧ هـ/ ١١٢٣ م، وبلغت شدة هذا الحصار إلى أن قام - كما ذكر ابن القلانسى - بإحراق زرعها[٤]، وقد أكد ذلك أيضا ابن أبى طى، وانفرد بمزيد من التفاصيل الأخرى المهمة عن أحوال حلب فى تلك الفترة، فتناول موقف كبار البيوت بها من ولاية كل من «بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار» و «بلك بن بهرام بن أرتق»، وأوضح انقسامهم إلى فريقين، كل منهما يؤيد أحد الولاة، ودفعهما إلى ذلك العديد من الأسباب السياسية والعسكرية والاقتصادية والمذهبية.

قال ابن أبى طى: «سار الأمير بلك إلى حلب ونزل عليها، وحاصرها أياما، وأحرق زرعها لأن الحلبيين جدوا فى قتاله، وكان السبب فى كراهة الحلبيين للأمير بلك بعد أن كانوا

---

(١) أوردنا هذا التاريخ في الفصل الخاص بكتابات ابن أبي طي عن الخلافة العباسية .

(٢) المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٩ .

(٣) العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٦، ٣٨ ؛ ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٣٣٠ - ٣٣٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨ ، ص ٣١٢؛ ابن العديم : المصدر السابق ،ج ٢، ص٢٠٦ ، ٢١٢

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٣٢ . وانظر أيضا : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

رغبوا فيه واستدعوه إليها، أن الأمير بدر الدولة لما تبين له قصد الأمير بلك، رغب إلى جماعة من الحلبيين وأعلمهم انه كاره لمفارقتهم واظهر أسى على ذلك، و دمعت عيناه فرقوا له وحلفوا له على حراسته وحفظه، وكان من جملة من حضره «ابن صاعد بن بديع»[١] رئيس حلب و«أولاد العجمي»[٢] و«أولاد الطرسوسي»[٣]،

و«بنو جرادة القضاة»[٤]، ورغبوا فيه لميله إلى مذهب السنة.....، وكره ذلك «بنو الخشاب»[٥] و«بنو المنذر» لمكان عجزه عن نصرة حلب وقلة رجاله وماله ورأوا أن الأمير

---

(١) هو فضائل بن صاعد بن بديع : تولي رئاسة رئيس حلب عند سيطرة « حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق » علي حلب في عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، ثم تركها عقب ولاية أتابك عماد الدين زنكي حلب في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ، وسار إلي قلعة جعبر . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢، ص ، ٢٢٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣) .

(٢) بنو العجمي : من البيوت المعروفة في حلب ولهم العديد من الآثار بها ، فأسس « شمس الدين أبو بكر أحمد بن العجمي » خانقاه عرفت باسمه ، ووقفها أخوه « شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن» علي الصوفية عند موته ، كما أسس « الشيخ شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن أبي صالح عبد الرحيم » « المدرسة الشرفية » ، ودرس فيها ولده « محيى الدين محمد » إلي أن قتله التتار عند استيلائهم علي حلب في عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٥٨) .

(٣) بنو الطرسوسي : من الأسر المعروفة أيضا في حلب ، منهم : « شمس الدين أبو القاسم بن الطرسوسي » الذي أشرف علي عمارة إحدى الخوانق في عهد نور الدين محمود بن زنكي ، والقاضي « أبو الحسن بن الطرسوسي » الذي أنشأ مسجدا في حلب ، ولهم مسجد آخر عرف باسمهم في الرحبة . (المصدر نفسه ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، ٢٣٣) .

(٤) بيت أبي جرادة : من البيوت المشهورة في حلب ، كان منهم الأدباء ، والشعراء ، والفقهاء ، والقضاة ، والمؤرخون ، ومن أشهرهم المؤرخ ابن العديم . لمزيد من التفاصيل انظر . (ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ٤٣٣ ـ ٤٦٣) .

(٥) بنو الخشاب : من الأسر الشيعية المعروفة في حلب ، وكان جدهم « القاضي عيسى » قد ترك حصن الأكراد ، واستوطن حلب في عهد مؤسس الدولة الحمدانية « سيف الدولة الحمداني » (٣٣٣ ـ ٣٥٦ هـ / ٩٣٥ ـ ٩٦٧ م) ، ومنذ ذلك الوقت أصبح لأولاده مكانة كبيرة لدى ملوك حلب . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٣ ـ ١١٤) .

بلك أكثر رجالا وأموالا وأشجع حنانا وأعز أعوانا، ولما رأى الأمير بلك الحلبيين صابرين على قتاله، رحل عن حلب إلى «قنسرين»[١]، وأوهم أنه صاير إلى حماة»[٢].

ثم نجحت مساعى الأمير بلك بن بهرام فى السيطرة على حلب، وكان ذلك ـ كما ذكرنا من قبل ـ فى شهر جمادى الأولى من عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م، ولكن لم تدم ولايته أيضا لحلب مدة طويلة، حيث قتل فى شهر صفر عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م أثناء حصاره قلعة «مَنبج»[٣]، وتولى حلب من بعده ابن عمه الأمير «حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق» فى ربيع الأول من السنة[٤].

الحصار الصليبى لحلب:

بعد عدة أشهر من ولاية الأمير «حسام الدين تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق» تعرضت حلب لحصار شديد من قبل اثنين من ملوك الصليبيين، وهما: «الملك بلدوين الثاني» (١١١٨ ـ ١١٣١ م / ٥١٢ ـ ٥٢٥ هـ) ثانى ملوك مملكة بيت المقدس، والأمير «جوسلين دى كورتناي» أمير الرها (١١١٩ ـ ١١٣١ م / ٥١٣ ـ ٥٢٦ هـ)، ودفعهم إلى هذا الحصار أسباب تتعلق بالحادثة التى كان قد تعرض لها الملك بلدوين الثانى منذ عام ونصف، وهى وقوعه فى أسر الأمير بلك بن بهرام منذ شهر صفر عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م، وكان قد تقرر الإفراج عنه بشروط منها دفع مبلغ من المال، مع تسليم عدد من الرهائن، فدفع جزءا من

(١) قنسرين : بكسر أوله ، وفتح ثانيه وتشديده ، تقع بالقرب من حلب ، وكانت مدينة عامرة آهلة بالسكان حتى غزت قوات الدولة البيزنطية حلب في عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ، فهجرها أهلها وتفرقوا في البلاد ، ولم يبق بها سوي خان تنزله القوافل (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٧٧ .

(٣) مَنْبج : بالفتح ثم السكون ، تقع بالقرب من حلب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧) .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١٢ ، ٣١٥ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

المبلغ، وتم الإفراج عنه فى رجب عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م، فقرر حصار حلب لحاجته لأموالها ولإنقاذ الرهائن.

كما انضم أيضا للقوات الصليبية الأمير «دبيس بن صدقة بن مزيد»[١] أمير بلدة «الحلة»[٢]، بعد هزيمته أما الخليفة المسترشد بالله فى عام ٥١٧ هـ/ ١١٢٣ م، فكان طامعا أيضا فى الاستيلاء على حلب، وكان مذهبه الشيعى من الأسباب التى شجعته على غزوها، لأنه كان مذهب أكثر أهل حلب، وكان ذلك أيضا من أسباب اتحاد القوى

الصليبية معه أملا فى بسط سيطرتهم على حلب من خلاله، فقاموا لذلك بحصارها فى شعبان عام ٥١٨ هـ/ أكتوبر ١١٢٤ م[٣].

وقد تناول ابن أبى طى فى عرضه لتفاصيل هذا الحصار الكثير من الأحداث المهمة

---

(١) هو نور الدولة أبو الأعز دُبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الأسدي : نشأ في أسرة شيعية المذهب ، وكان والده وجده أمراء على الحِلة وازدهرت كثيرا في عهدهم ، ثم قتل والده في أحد المعارك مع السلطان محمد بن ملكشاه في عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٧ م ، وأسر السلطان محمد ولده دبيس هذا وظل في أسره حتى وفاة السلطان في ذي الحجة عام ٥١١ هـ/ ١١١٨ م ، ثم أطلقه السلطان محمود بن محمد وعاد إلي الحلة ، ومنذ ذلك الوقت خاض دُبيس العديد من المعارك مع الخليفة المسترشد بالله وهاجم العراق عدة مرات ، حتى وصف أنه كان « مسعر حرب » و « جمرة بلاء » . وقتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه في ذي الحجة عام ٥٢٩ هـ/ ١١٣٥ م ، وسوف نوضح في فصل الخلافة العباسية ودولة السلاجقة ما ذكره ابن أبي طي عن تفاصيل علاقته مع الخلافة العباسية وأحداث مقتله . (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٨٠ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ٤٨٨ ؛ العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٩٠ ـ ٩١) .

(٢) الحِلّة : تعرف بحلة بنى مزيد ، وهي مدينة كبيرة تقع بين الكوفة وبغداد . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩٤) .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٥ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ، ج ٣ ، ص ٤٣ ـ ٤٤ ، ٧٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١٠ ـ ٣١١ ، ٣١٦ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ـ ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

وانفرد بمعظمها، ومن أهمها المراسلات التى دارت بين الأمير دبيس بن صدقة والقاضى «أبو الحسن بن الخشاب»[١] فى حلب، وبين دبيس بن صدقة وملوك الصليبيين.

قال ابن أبى طى عن أحداث الحصار الأولى: «لما بلغ الخبر إلى حلب يعنى قتل الأمير بلك بن بهرام بن أرتق صاحب حلب على «منبج» ـ كما قدمنا شرحه ـ أعظموا الأمر، وغلقت أبواب حلب، وسار الأمير دبيس بن صدقة... إلى حلب ونزل على ظاهرها، واستدعى ملوك الفرنج... وصار أهلها فى أسوأ الأحوال»[٢].

ثم انفرد ابن أبى طى بذكر أولى المراسلات بين القاضى ابن الخشاب ودبيس بن صدقة، وفيها عاتبه ابن الخشاب على اتحاده مع الصليبيين، وخاطب فيه المروءة والفتوة، كما عاتبه على استغلاله حالة الضعف التى عليها أهل حلب الذين هم يدينون بنفس مذهبه، ثم ختم رسالته بتوضيح خطورة استيلاء الصليبيين على حلب على البلاد

لإسلامية الأخرى، فقال: «فأرسل القاضى ابن الخشاب إلى الأمير دبيس رسالة طويلة يقول فى جملتها «ايش .... المروه والفتوه، وكيف... أن يقصد.. الثغر مع ما هو عليه من الضعف، وقلة.. جيوش الكافرين الذين قد جرأوه وقتلوا أهله، مع أن جميع من بحلب يعتقدون اعتقادك ويدينون بمذهبك..... الله تعالى.. فى دماء المسلمين، وحرمة الدين ولا يطع العدو فى هذا المكان، فو الله لين استولوا عليه لا امتنع بعده عليهم.... للإسلام»[٣].

---

(١) هو القاضي أبو الحسن محمد بن يحيى بن محمد بن الخشاب : تولي تدبير أمور حلب أثناء تعرضها لهذا الحصار ، حتى إنه كان يعطى الفقراء من ماله الخاص . ومن آثاره بحلب : أنشأ مسجد الجرن الأصفر ، وأسس منارة المسجد الجامع في حلب في عهد قسيم الدولة آقسنقر في عام ٤٨٢ هـ / ١٠٨٦ م ، وقتل في عام ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م ، وسوف نذكر ترجمة ابن أبي طي عنه في آخر أحداث الفصل . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢، ص ٢٢٥ ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١، ص ١١٣ـ ١١٤ ، ١٨٨) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٨٤ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٨٤ ـ ٨٥ . .

فتلقى القاضى ابن الخشاب ردا من الأمير دبيس بن صدقه أفصح فيه عن حقيقة نواياه، وهو السيطرة على حلب، وتعهد له بتقوية البلد وحفظها، فوافق القاضى ابن الخشاب على تسليمها إليه بشرط جلاء الصليبيين عنها، وهذه الرسائل انفرد بها أيضا ابن أبى طى فقال: «فأرسل الأمير دبيس يقول له: «إنما اطلب هذا البلد لنفسى، ومتى حصلت فيه منعت جانبه، وقويت أهله، وانتصفت لهم من أعدائهم. فأعاد القاضى ابن الخشاب عليه الجواب يقول: فإذا كان هذا عزمك ترحل الفرنج، وعُد إلينا حتى نسلم إليك البلد»[1].

فراسل الأمير دبيس بن صدقة ملوك الصليبيين فى ذلك، فقوبل طلبه بالتهكم والسخرية، وبلغه أيضا تهديد غير مباشر منهم، ولهذا غادر المعسكر متجها إلى قلعة جعبر، وظل الحصار الصليبى قائما على حلب.

قال ابن أبى طى: «فأرسل الأمير دبيس إلى ملوك الفرنج - لعن الله من مضى منهم وخذل من بقى منهم - يقول: أن هذا البلد قد حصل لى، وقد عرفت بقصدكم وبعثكم وأنا شاكر لجميل فعلكم، وقد وعدنى من به إذا رحلتم أن يسلموه إلي».

«فأرسل إليه ملوك الفرنج - لعن الله من مضى منهم وخذل من بقى منهم - يقولون: وأنت أى شئ لك فى هذا البلد حتى تقول أنا وأنا؟ والبلد لنا ونحن قد تعبنا عليه المدة الطويلة، وخسرنا عليه الأموال الجمة، فلا تطمع نفسك بالمحال، ولا تحدثها بالضلال، وهموا برسوله، فعاد إليه واخبره بما جرى، فلم يكن لدبيس إلا أن جمع نفسه وأصحابه ورحل فى الليل لا يلوى على شئ حتى وصل إلى قلعة جعبر، ونزل على صاحبها ابن مالك العقيلى، و ما رجع إليه رَوعه حتى حصل من ورا سورها، وأقام الفرنج - لعن الله من مضى منهم وخذل من بقى منهم - على حصار حلب، وجدوا فى

أمرها غاية الجد، ونصبوا عليها عدة مجانيق..وعزموا على عمل كبش وبرج»[2].

---

(١) المصدر نفسه ، ورقة ٨٥ .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٨٥ .

ثم تطرق ابن أبى طى لتوضيح جهود الأمير حسام الدين تمرتاش فى مقاومة الحصار، فقال: «وكان وصلها الأمير» حسام الدين نصير الدولة تمرتاش بن الأمير نجم الدين يلغازى بن أرتق «بعد قتل الأمير بلك بعشرة أيام، ولما صار الأمر بحلب إليه، وحصل بها قويت به نفوس الحلبيين، واشتد ظهورهم وأحسنوا القتال والنزال، وأبلوا الجهد حتى ضعف الفرنج عن ملاقاتهم»[١].

وتناول ابن أبى طى أيضا موقف حسام الدين تمرتاش من ملك حلب السابق «سلطان شاه بن رضوان بن تتش»، كما عرض ما قام به من تغييرات إدارية فى حلب، واقتربت روايته كثيرا من رواية «العظيمي»عن هذا الموضوع[٢]، فقال: «واستوزر الأمير تمرتاش «أبا محمد بن الموصول»، وقبض على الأمير «سلطان شاه بن الملك رضوان»، واعتقله فى ماردين فهرب من ماردين إلى الملك «داود بن سكمان بن أرتق»[٣] وانتصر به[٤]، ثم قبض الأمير تمرتاش «أبا محمد بن الموصول» وزيره وصادره، واستوزر «أبا الرجا بن السرطان»، وقتل «سليمان العجلى[٥]»[٦].

ثم غادر «حسام الدين تمرتاش» حلب بعد وفاة أخيه «سليمان بن غازي» فى رمضان عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م، وانشغل عنها ببسط سيطرته على أملاك أخيه فى ميافارقين، ولهذا

---

(١) المصدر نفسه والورقة .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ . ٤٠ . وانظر أيضا : ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٣) وهو أمير حصن كيفا . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٠) .

(٤) كنا قد تناولنا في الصفحات السابقة جانبا من أحوال الملك سلطان شاه بن رضوان بعد عزله من ولاية حلب ، وواصل ابن أبي طي في هذه الرواية عرض المزيد عنه ، وذكر العظيمي بعد ذلك انه شارك أيضا القوات الصليبية والأمير دبيس بن صدقة في حصار حلب ، ولكن لم تنجح مساعيه هو وغيره من القوات في السيطرة عليها . (العظيمي : تاريخ العظيمي ، ص ٤٠ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٤) .

(٥) هو سليمان العجلاني : كان قد تولي رئاسة حلب ، ثم عزل منها في عام ٥١٨ هـ/ ١١٢٤ م . (العظيمي : تاريخ العظيمي ، ص ٣٩) .

(٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٨٥ .

اضطر الحلبيون لشدة الحصار طلب النجدة من أمير الموصل «آق سنقر البرسقي»، فجهز جيشا كبيرا لمساندة حلب[١]، وقد اهتم البرسقى قبل وصوله إلى حلب بتدعيم أهلها الذين عانوا من شدة الحصار، فأرسل إليها حسب رواية ابن الفرات: «ميرة كثيرة وأمر أن تفرق فى الناس ولا تباع بدرهم»[٢].

وقد أمدنا ابن أبى طى بمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، حيث كان لوالده نصيب من تلك المعونة، وحدد ابن أبى طى مقدار ما ناله منها، كما عقد مقارنة هامة بين وزن تلك المعونة فى ذلك الوقت، وما تساويه بعد قرن من الزمان تقريبا فى زمن ابن أبى طى، فقال: «حدثنى أبى قال: «أصابنى منها «ثماني» مكاكى بالظاهرى، يكون تقديره بالكيل الظاهرى الآن «مكوكين ونصف»[٣].

وظهر من تلك المقارنة انه على الرغم مما كانت تعانيه حلب من اضطراب وضعف أدى إلى طمع الكثير من الدول فى السيطرة عليها منذ وفاة الملك «رضوان بن تتش» فى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م، إلا أنها صارت بعد قرن من الزمان أسوا حالا، على الرغم من استقرارها السياسى فى عهد الدولة الأتابكية والأيوبية، ويرجع ذلك فى رأينا إلى الحروب الكثيرة التى خاضتها تلك الدول للقضاء على الوجود الصليبى فى بلاد الشام، مما كان له أبلغ الأثر على الناحية الاقتصادية فى حلب وغيرها من البلاد.

وواصل ابن أبى طى بعد ذلك روايته عن أحوال حلب أثناء الحصار، وانفرد بذكر أحد الأسباب التى عجلت بإنهاء الحصار الصليبى للبلد، وهو سوء حالة الطقس فى حلب فى ذلك الوقت، فقال: «وسار الأمير البرسقى إلى حلب، وفى الليلة التى اجتمع الحلبيون فيها على إجلا البلد أصاب بلد حلب مطر عظيم كأفواه القرب، وجاءت السيول من كل

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٤٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨

(٢) المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٨٨ .

(٣) المصدر نفسه والورقة .

مكان حتى غرقت خيم الفرنج، وذهب السيل بأكثر أمتعتهم ودوابهم واضطرهم ذلك إلى أن رحلوا إلى جبل جوشن واستراح الناس من قتالهم، ودامت الأمطار متواصلة والسيول متراكمة مدة أربعة أيام، لا تمسك المطر... فإذا قل السيل عاد المطر، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن وصل الأمير البرسقي إلى حلب»[١].

ثم أورد ابن أبي طي بعد ذلك مقدمة عن الأمير آق سنقر البرسقي أوضح فيها مكانته كما عرض أيضا تفاصيل استغاثة الحلبيين به في الموصل، واتفق في ذلك مع «ابن العديم»[٢]، فقال: «كان الأمير «سيف الدين قسيم الدولة أقسنقر البرسقي» أحد الأمرا الكبار الأجلا الشجعان، وقد قدمنا كثيرا من أخباره إلى أن تولى الموصل بعد الأمير «مودود»[٣] وأقام بها وأحسن السياسة، فلما كان في هذه السنة أرسل إليه القاضي ابن الخشاب وأعلمه بما المسلمون فيه من الضر، وأن الأمير «تمرتاش» قد بعد عن نجدهم وكان أرسل إليه جماعة من الفقها وشيوخ الحلبيين في..... فلما وصلوا إلى خيمته ضجوا وبكوا.... على ما نزل على المسلمين وعلى حرمهم، واعظموا عليه ذلك، وكان نازلا على بلد من أرض الموصل فبكى وأمر من وقته فرمى خيمه، ورحل لا يلوى على شئ حتى دخل حلب»[٤].

وكان الأمير آق سنقر البرسقي قد أعد جيشا كبيرا لإغاثة حلب، وقد كان لذلك أثرا كبيرا على الجانب الصليبي حيث رأوا - كما ذكر وليم الصوري - أن الحكمة تملي عليهم الارتداد حفاظا على سلامة أنفسهم[٥]، وقد أكد ذلك أيضا بعض المصادر الإسلامية[٦]

---

(١) المصدر والورقة .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨ .

(٣) وهو الأمير مودود بن التونتكين : كان أميرا علي الموصل وقتل في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م . (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٦٦) .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٨٨ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣١٧ .

بينما أكدت المصادر الحلبية ممثله فى ابن أبى طى وابن العديم أنه وقع قتال بين الطرفين انتهى بهزيمة الصليبيين[١]، قال ابن أبى طى: «وكان دخوله إليها فى أواخر ذى الحجة من ثمانى عشرة وخمسمائة، ومن يومه خرج إلى الفرنج وكبسهم فى خيمهم، لأن مجى البرسقى لم يتصل إلى الفرنج لمكان... وقتل فيهم مقتلة عظيمة، فرحلوا عن حلب لا يلوون على شئ»[٢].

وظلت حلب تابعة للأمير آق سنقر البرسقى منذ ذلك الوقت حتى مقتله فى ذى القعدة عام ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م[٣]، وقد ذكر ابن أبى طى تفاصيل مقتله فى ترجمة أوردها عنه، وصرح فيها لأول مرة باعتماده على المؤرخ «حمدان بن عبد الرحيم».

بدأ ابن أبى طى الترجمة برواية ذكرها الأمير آق سنقر البرسقى أوضح فيها مهارته فى رمى الناس بالسهام فقال: «كان الأمير» سيف الدين قسيم الدولة آق سنقر البرسقى أحد الأمرا الكبار الأجلا الشجعان، وكان من أرمى الناس بالسهام. فحدث عن نفسه قال: كنت وأنا صغير مع أستاذى فى قافلة، وكان تاجرا موسرا فبيتنا ليلة فى برية، وكان تحت رأسه «عيبة»[٤] فيها متاع له..... وأوتى لص فأختطفها من تحت رأسه فى الليل فصرخ أستاذى، فقمت وأخذت القوس، فسمعت وقع قدم اللص فى الأرض فرميته بسهم فصرخ وسقط... أستاذى باتباعه فاتبعناه فوجدناه ملقى فأخذنا العيبة وعدنا»[٥].

ثم تناول ابن أبى طى تفاصيل مقتل الأمير آق سنقر البرسقى فى ذى القعدة عام ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م، واعتمد على المؤرخ «حمدان بن عبد الرحيم» فى روايته، كما أورد ابن العديم

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٢) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ٨٨.

(٣) ابن العديم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٤) العَيْبة: هي وعاء للمتاع والثياب. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٤٩٠).

(٥) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ١٠٢.

ملخصا لها أورده أيضا عن حمدان بن عبد الرحيم[١].

قال ابن أبى طى: «فى ذى القعدة من هذه السنة وثب الباطنية على الأمير قسيم الدولة البرسقى فقتلوه فى يوم الجمعة بجامع الموصل. «وذكر حمدان بن عبد الرحيم » أن الذى قتله رجل من ضيعة «أورم الكبرى»[٢] من فلاحيها اتبعه فى جماعة فقتله، ويقال أنه كان له فى «أورم» أم، فلما بلغها أن البرسقى قد قتل اغتسلت واكتحلت واختضبت فرحا بفعل أبنها وكونه يقتل، فيقال أن ابنها سلم من الجماعة وحده وعاد، فلما وصل إليها حزنت وقطعت شعرها وحلفت أنها لا تكلمه، وهذا مذهب الباطنية لا يعجبهم إلا من يُقتل إذا قتل»[٣].

وبعد مقتل الأمير آق سنقر البرسقى بعام تولى أتابك عماد الدين زنكى حلب فى عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م، وظلت تابعة لسلطة الدولة الأتابكية لأكثر من نصف قرن، وهذا ما سنوضحه من خلال كتابات ابن أبى طى فى الفصل القادم.

ثانيا التاريخ الحضارى:

حرص ابن أبى طى فى مؤلفاته عن حلب أن تغطى كتاباته كافة جوانب الحياة بها، ففضلا عن تاريخها السياسى خصص جانبا من كتاباته لدراسة أهم الآثار الدينية بها، وخاصة المشاهد الشيعية الباقية فيها، كمشهد الإمام على بن أبى طالب وولده الحسين، كما اهتم بتوضيح علاقة الشيعة الإمامية فى حلب بغيرهم من المذاهب، فتناول فى رواية هامة علاقتهم بالطرق الصوفية من خلال ما رواه عن بناء أول خانقاه فى حلب، كما أزاح الستار فى روايات أخرى عن علاقة الشيعة الإمامية - التى كان منهم أكثر أهل حلب - مع الشيعة الإسماعيلية فى حلب، كما أمدنا بمعلومات هامة عن المجتمع الحلبى (مآكله، وملبسه) من

---

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٢) أورم: بالضم ثم السكون، وكسر الراء، اسم لأربع قرى من قرى حلب، ومنهم أورم الكبرى. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٨).

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، م ١، ج ٢، ورقة ١٠٧.

خلال تناوله بناء أول خانقاه فى حلب.

وتعد كتابات ابن أبى طى عن هذه الموضوعات من أوائل الدراسات، ولهذا وجد كثير من المؤرخين اللاحقين به من كتاباته مادة هامة، فاعتمد عليه بعض مؤرخى حلب قديما وحديثا، كما اعتمد عليه غيرهم من المؤرخين، ولهذا وجدنا له كثيرا من النصوص التى اشترك فى اقتباسها أكثر من مؤرخ، وسوف نعرض له هذه النصوص مع توضيح الاتفاقات والاختلافات بين كل اقتباس.

الآثار الدينية فى حلب:

بناء المنارة فى المسجد الجامع بها:

أسس المسجد الجامع فى حلب منذ الفتح الإسلامى، وقيل عنه أنه كان يضاهى مسجد دمشق فى الزخرفة والرخام والفسيفساء، ثم دمر المسجد فى عهد الدولة الحمدانية على أثر الغزو البيزنطى لحلب فى عام ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، فعمل ملوك الدولة على ترميم وبناء ما تهدم منه، واهتم أيضا بعمارته ولاة حلب من الفاطميين فى عام ٤١١ هـ/ ١٠٢٠ م[١].

أما مئذنة الجامع أو المنارة[٢]، فقد تم بناؤها ـ كما ذكر ابن القلانسى والعظيمى ـ أثناء الحكم السلجوقى لحلب فى عهد قسيم الدولة آق سنقر (٤٧٩ ـ ٤٨٧ هـ/ ١٠٨٦ ـ ١٠٩٤م) فى عام ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩ م، وأضاف العظيمى انه تم بناؤها بإشراف القاضى أبو الحسن ابن الخشاب، الذى أحضر الحجارة اللازمة لها من معبد قديم للمجوسية[٣].

---

(١) ابن العديم : المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٩ ـ ١٤٠، ١٧٢، ٢١٨؛ ابن شداد : المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.

(٢) ابن منظور : المصدر السابق، ج ١٤، ص ٣٢٢.

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ١٩٧؛ العظيمي : المصدر السابق، ص ٢٠؛ ابن شداد : المصدر السابق، ج ١، ق ١، ص ١١١ ـ ١١٢.

وتناول ابن أبي طي هذا الموضوع بإسهاب أضفى على روايته أهمية كبيرة، لأنه اهتم بجمع كافة البيانات عن بناء المنارة، فأوضح أنه استغرق إنشاؤها العديد من السنوات منذ أن وضع أساسها سابق بن محمود بن صالح (٤٦٨ ـ ٤٧٢هـ / ١٠٧٦ ـ ١٠٨٠ م) ـ آخر ملوك الدولة المرداسية ـ حتى انتهى العمل فيها فى عهد قسيم الدولة آق سنقر، كما اهتم أيضا بذكر العديد من البيانات الأخرى، بعضها تعلق بالمكلفين بالعمل فيها، والبعض الآخر تناول فيه المعلومات المعمارية الخاصة بإنشائها، ولهذا وجد عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) فى روايته مادة هامة فأخذ عنه هذا النص، كما أورده أيضا عن ابن شداد «ابن الشحنة» (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) فى اثنين من مؤلفاته

قال ابن أبي طي: «أسست «العمارة فى هذه»[١] المنارة فى «زمان»[٢] سابق «بن»[٣] محمود بن صالح، على يد القاضي أبي الحسن بن الخشاب، وكان الذى عمرها رجل من «أهل»[٤] «سرمين»[٥]، و«أنه»[٦] «بلغ»[٧] بأساسها إلى الماء، وعقد حجارتها «بالكلاليب»[٨] الحديد والرصاص، و«أتمها»[٩] فى أيام قسيم الدولة آق سنقر، وطول هذه المنارة إلى الدرابزين بذراع اليد سبع وتسعون ذراعا وعدد «مراقيها»[١٠] مائة وأربع وسبعون درجة»[١١].

(١) إضافة في كتابات ابن الشحنة . (نزهة النواظر ، ص ٥٥ ؛ الدر المنتخب ، ص ٦٧) .
(٢) في كتابات ابن الشحنة « زمن » . (نزهة النواظر ، ص ٥٥ ؛ الدر المنتخب ،ص ٦٧) .
(٣) ساقطة من الدر المنتخب لابن الشحنة (ص ٦٧) .
(٤) ساقطة من كتابات ابن الشحنة . (نزهة النواظر ، ص ٥٥ ؛ الدر المنتخب ، ص ٦٧) .
(٥) سَرْمِين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢١٥) .
(٦) إضافة في كتابات ابن الشحنة . (نزهة النواظر ، ص ٥٥ ؛ الدر المنتخب ، ص ٦٧) .
(٧) في نزهة النواظر لابن الشحنة « بالغ » . (ص ٥٥) .
(٨) في كتابات ابن الشحنة « كلاليب » (نزهة النواظر ، ص ٥٦ ؛ الدر المنتخب ، ص ٦٧) .
(٩) في الدر المنتخب لابن الشحنة « أتمها » . (ص ٦٧) .
(١٠) المراقاه : بالفتح والكسر الدرجة . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٣ ، هامش (٤)) .
(١١) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٢ ـ ١١٣ ؛ ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٦٧ ؛ نزهة النواظر ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ؛ محمد أسعد أطلس : الآثار الإسلامية ، ص ٤٤ .

المشاهد الشيعية فى حلب:

اهتم **ابن أبى طى** بذكر الروايات التى قيلت حول اكتشاف مكان بعض الأضرحة الشيعية من أسرة الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى حلب، وبناء المشاهد حولها بعد ذلك، **والقارئ لتلك الروايات يأخذها عليه، لأنه أرجعها كلها لقوى غيبة ومعجزات** قل أن تتحقق بعد انقضاء زمن الأنبياء، ولكننا إذا نظرنا بمنظور الشيعة الذين يؤمنون إيمانا تاما بالإمام على بن أبى طالب ويعد فى رأيهم «خليفة النبى محمد»[1] ـ عليه الصلاة والسلام ـ وله عندهم من القدسية ما تجعلهم يصدقون أية رؤية يتجلى فيها الإمام على لأحد الشيعة ليخبره عن مكان أحد هذه الأضرحة، ويعطيه الأمارات والدلالات المؤكدة لذلك، خاصة إذا تجلى الإمام أكثر من مرة لرجل واحد، أو لاثنين فى وقت واحد ويخبرهم بنفس البشارة، أو لبعض زائرى حلب من «منبج» أو من بلاد المغرب ليكون وقع تصديقه على الحلبيين أعمق، أو نتج عن رؤيته معجزات أخرى لأهل حلب مثل شفاء المريض، أو التوبة عن ارتكاب المعاصى، فهذا كله يجعل من رواية الرجل الذى تجلى له الإمام على هآلة مقدسة، ويتوارثها الشيعة جيل بعد جيل ليؤكدوا لأنفسهم أن اعتقادهم فى الإمام على حقيقة وانه يبارك خطواتهم، ويساعدهم على اكتشاف تلك الأضرحة التى تزيد من ارتباطهم به.

وأولى تلك المشاهد التى ذكرها ابن أبى طى هو مشهد الدكّة، وتم اكتشافه فى عام ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م فى عهد سيف الدولة الحمدانى (٣٣٣ ـ ٣٥٦ هـ/ ٩٣٥ ـ ٩٦٧ م) مؤسس الدولة الحمدانية فى حلب (٣٣٣ ـ ٤٠٦ هـ/ ٩٣٥ ـ ١٠١٥ م)، ومن العجيب أن يتفق اكتشافه فى عهد الدولة التى رعت الشيعة فى حلب، وسمحت لهم بممارسة شعائرهم، حتى صار المذهب الشيعى مذهب الدولة الرسمى[2]، ولهذا الاهتمام من قبل

---

(١) الكاظمي : الشيعة في عقائدهم ، ص ٦٠ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٢ ؛ الغزي : نهر الذهب ، ج ١ ، ص ١٥٥ ؛ السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١ .

سيف الدولة بأمر الشيعة حباه الله بإحدى المعجزات ! فرأى نورا يتكرر على مكان، ثم اكتشف أنه به قبر أحد أولاد الحسين بن على بن أبى طالب، وتضاربت بعد ذلك أقوال الشيعة حول نسبته إلى الحسين واتفقوا فى نهاية الأمر أنه قبر المحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، وظل هذا المشهد قائما حتى زمن ابن أبى طى فزاره ونقل ما وجده مكتوبا على لوحة هذا المشهد، وهذا النص من الروايات المهمة التى كان هو مصدرها.

قال ابن أبى طى عن سبب ظهور المشهد: «وفى هذه السنة يعنى سنة إحدى وخمسين و ثلاثمائة، ظهر مشهد الدّكّة. وكان سبب ظهوره أن «سيف الدولة على ابن حمدان» كان فى «إحدى»[1] مناظره بداره التى بظاهر المدينة، فرأى نورا

ينزل على المكان الذى فيه المشهد عدة مرات، فلما أصبح ركب بنفسه إلى ذلك المكان وحفره فوجد حجرا عليه كتابة: «هذا قبر المحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم»[2].

ثم ذكر ابن أبى طى آراء الشيعة حول «المحسن بن الحسين» صاحب المشهد، **فقال: «فجمع سيف الدولة العلويين وسألهم: هل كان للحسين ولد أسمه المحسن ؟ فقال بعضهم: ما بلغنا ذلك ! و إنما بلغنا أن فاطمة - عليها السلام - كانت حاملا فقال لها النبى - صلى الله عليه وسلم -: «فى بطنك محسن»[3]. فلما كان يوم البيعة هجموا عليها فى بيتها لإخراج على - كرم الله وجهه - إلى البيعة «فأخدجت»[4].**

---

(١) فى كتابات ابن الشحنة « أحد » . (نزهة النواظر ، ص ٧٥ ؛ الدر المنتخب ،ص ٨٥) .

(٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ ؛ ابن الشحنة : نزهة النواظر ، ص ٧٥ ، الدر المنتخب ، ص ٨٥ .

(٣) حصر المسعودي أبناء السيدة فاطمة ومن بينهم هذا الاسم . (مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٧٣) .

(٤) خديج : أي ناقص الخلق . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٣) .

وقال بعضهم: «يحتمل»[١] أن سبى «نساء»[٢] الحسين لما ورد هذا المكان طرح بعض نسائه هذا الولد. فإنا نروى عن آبائنا أن هذا المكان سمى بجَوْشَن لأن شمر بن ذى الجوشن - «عليه اللعنة»[٣] - نزل عليه بالسبى والرؤوس[٤]، وأنه كان معدنا يعمل فيه «النحاس الأصفر»[٥]. وأن أهل المعدن فرحوا بالسبى فدعت عليهم «زينب أخت الحسين» ففسد المعدن من يومئذ[٦]. وقال بعضهم: «إن هذه

الكتابة التى على الحجر قديمة، وأثر هذا المكان قديم، وأن هذا الطرح الذى زعموا لم يفسد، ويقاؤه دليل على أنه «ابن»[٧] الحسين، فشاع بين الناس هذه المفاوضة التى جرت، وخرجوا إلى هذا المكان، وأرادوا عمارته، فقال سيف الدولة: «هذا موضع قد أذن الله تعالى لى «في»[٨] عمارته على اسم أهل البيت»[٩].

---

(١) ساقطة من نزهة النواظر لابن الشحنة . (ص ٧٥) .

(٢) ساقطة من نزهة النواظر لابن الشحنة . (نفس الصفحة) .

(٣) إضافة في نزهة النواظر لابن الشحنة . (نفس الصفحة) .

(٤) كان ذلك عقب قيام شمر بن ذي الجوشن وآخرون بقتل الحسين بن علي يوم عاشوراء عام ٦١ هـ / ٦٨٠ م في المعركة التي دارت بين قوات الخليفة الأموي يزيد بن معاوية والحسين بن علي عند كربلاء ، بسبب رفض الحسين البيعة له ، ومبايعة الكثير من أهل الكوفة للحسين ، وقتل في هذه المعركة أربعة من أولاد الحسين ، وبعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلي يزيد بن معاوية ، وفي عام ٦٦ هـ ثار المختار بن أبي عبيد الثقفي من قتلة الحسين ، وقتل شمر بن ذي الجوشن . (المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣، ص ٦٤ - ٧١ ، ٧٨ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج ١، ص ١٨٩ - ١٩١، ١٩٤).

(٥) في نزهة النواظر لابن الشحنة « الصفر » (ص ٧٥) .

(٦) اتفق ياقوت الحموي في المعنى العام لروايته عن «جبل جوشن » مع رواية ابن أبي طي إلي هذا الجزء . انظر : (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٦) .

(٧) ساقطة من نزهة النواظر لابن الشحنة . (ص ٧٦) .

(٨) ساقطة من نزهة النواظر لابن الشحنة . (نفس الصفحة) .

(٩) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ ؛ ابن الشحنة : نزهة النواظر ، ص ٧٥ - ٧٦ .

ثم قال ابن أبي طى عن زيارته للمشهد: «ولحقت «باب»[١] هذا المشهد، وهو باب صغير من حجر أسود عليه قنطرة مكتوب عليها بخط أهل الكوفة كتابة عريضة: «عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء وجه الله - تعالى - وقربة إليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب - عليهم السلام - الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان[٢]»[٣].

ولا يزال هذا المشهد باقيا فى حلب، وأصبح يعرف بمشهد الشيخ محسّن، ومشهد الطرح، ويقع فى غربى مدينة حلب على بعد مائتى متر من مشهد الحسين[٤]، وعليه

كتابات تتضمن ذكر الأئمة الاثنى عشر، وهى محفورة على الحجارة التى تعلو القبر[٥].

---

(١) ساقطة من كتابات ابن الشحنة . (نزهة النواظر ، ص ٧٦ ؛ الدر المنتخب ، ص ٨٦) .

(٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٥٠ ؛ ابن الشحنة : نزهة النواظر ، ص ٧٦ ، الدر المنتخب ، ص ٨٦ ؛ الغزي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ؛ الأسدي : أحياء حلب ، ص ٣٥١.

(٣) أورد ابن شداد عقب انتهائه من نص ابن أبي طي عبارة : « وذكر التأريخ المتقدم » ثم سرد بعدها التطورات التي لحقت بالمشهد بعد الدولة الحمدانية ، وهذه العبارة استوقفتنا لأنها تحمل أكثر من معنى ، فقد يكون قصد تاريخ إنشاء المشهد في عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م الذي ذكره ابن أبي طي في بداية روايته ، وربما أعاده ابن أبي طي في ختام روايته ، فاختصره ابن شداد بقوله هذه العبارة ، أما المعنى الثاني فقد يكون قصد به « تاريخ ابن أبي طي » ، وهذا يعني أن اقتباس ابن شداد من كتاب ابن أبي طي لازال مستمرا ، وهنا أصابتنا الحيرة حول نهاية نص ابن أبي طي ، لأن ابن شداد واصل شرح التطورات التي طرأت علي المشهد حتى بعد دخول التتار حلب ، وسيطرة السلطان بيبرس عليها ، ولكننا أمام عدم وضوح المعنى الذي قصده ابن شداد ، وأيضا بسبب تاريخ وفاة ابن أبي طي الغير معلوم فلا نستطيع أن نجزم أن كانت تلك التطورات أوردها ابن أبي طي في كتاباته . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٥٠ ؛ ابن الشحنة : نزهة النواظر ، ص ٧٦) .

(٤) الغزي : نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ؛ الأسدي : أحياء حلب ، ص ٣٥١ .

(٥) محمد أسعد أطلس : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

مشهد قَرَنْبيا:

تم اكتشافه أثناء الحكم السلجوقى فى حلب فى عهد قسيم الدولة آق سنقر (٤٧٩ - ٤٨٧ هـ/ ١٠٨٦ - ١٠٩٤م)، بعد أن تكررت رؤية الإمام على بن أبى طالب لأحد شيوخ منبج، وأعطاه الأمارات الدالة على هذا المكان. قال ابن أبى طى عن ظهور هذا المشهد: «وسبب بناء قسيم الدولة لهذا المشهد أن شيخا من أهل منبج رأى فى حلب عدة مرار كأن على بن أبى طالب - عليه السلام - يصلى فيه، وأنه قال: «قل لآق سنقر يبنى على «قَرَنْبيا»[1] مشهدا». و قَرَنْبيا اسم الربوة، فقال الشيخ لعلى عليه السلام:» ما علامة ذلك ؟ فقال: أن تكشف الأرض، فتظهر أرض معمولة بفص المرمر والرخام. وفيها محراب مؤسس، وقبر على جانب المحراب فيه بعض ولدى. فلما تكررت هذه الرؤيا على الشيخ شاور جماعة من أصحابه، فأشاروا عليه أن يتعرض له، فخرج إليه فى جماعة، فلما رآهم أنفذ إليهم حاجبه، وسألهم: ما حاجتهم ؟ فأخبروه برؤيا الشيخ، فأمر وزيره بكشف الموضع فكشفه، ورأى الأمارات على ما حكاه من الرؤيا، فبناه، ووقف عليه وقفا، وكان يتردد إليه»[2].

مشهد على بن أبى طالب:

قتل الخليفة على بن أبى طالب فى بلدة الكوفة بالعراق فى رمضان عام ٤٠ هـ/ ٦٦١ م، واختلفت الآراء حول مكان قبره، والرأى الأكثر شيوعا أنه دفن فى الكوفة فى منطقة «النجف»[3]، وقيل أيضا دفن فى نواحى أخرى بالكوفة، فقيل دفن مما يلى قبلة المسجد بها، وقيل عند قصر الإمارة، وهناك رأى آخر ذكر أن ابنه الحسن نقله إلى المدينة المنورة، واعتبروه لذلك أول من حول من قبر إلى قبر، وهناك رأى أخير ذكر أن مكان دفنه غير

(١) قَرَنْبيا : كان هذا الموضع قديما يعرف بمقر الأنبياء فحرفته العامة ، وهو يقع في شرق مدينة حلب (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٤) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٧١ ؛ أبو الفداء : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛ الكاظمي : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

معلوم، لأنه أثناء حمله إلى المدينة المنورة ضلت الدابة الطريق[١].

وهذا الرأى الأخير فتح الباب أمام الشيعة للبحث عن مكان قبره، ولهذا ظهر رأى ذكره ابن أبى طى عن والده، أكد فيه اكتشاف قبر على بن أبى طلب فى حلب، فى عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م فى عهد أتابك عماد الدين زنكى.

ونظرا لأهمية وقدسية هذا الاكتشاف للمسلمين عامة، والشيعة فى حلب خاصة، فقد فاقت الروايات التى ذكرها ابن أبى طى عن ظهوره كل رواياته الأخرى عن اكتشاف الأضرحة، وغاب فيها العقل أمام رغبة الشيعة فى حلب فى تصديق أن الإمام على حباهم بهذا الشرف، فتناقلوا تلك الروايات، وفيها تجلى على بن أبى طالب لاثنين من أهل حلب، وأخبرهما بنفس الأمارات الموضحة لمكان مدفنه، وحقق أيضا أثناء رؤية الأول له معجزة وشفاه من المرض، أما الثانى فقد تأثر من رؤيته وتاب عن شرب الخمر

قال ابن أبى طى: «فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة»[٢] ظهر مشهد «الإمام»[٣] على «بن أبى طالب»[٤] - رضى الله عنه - الذى على «باب الجنان»[٥] «يعنى بحلب»[٦]»[٧].

---

(١) المسعودي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ ؛ أبو الفداء : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٠ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٦ .

(٢) أورد ابن الفرات خبر ظهور هذا المشهد في أحداث عام ٥٢١ هـ . (تاريخ الدول و الملوك ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣) .

(٣) إضافة من ابن الفرات . (المصدر نفسه) .

(٤) إضافة من ابن الفرات . (المصدر نفسه) .

(٥) باب الجنان : يلي باب الفراديس في غرب مدينة حلب ، وسمي بذلك لكونه يُخرج منه إلي البساتين وله بابان . (ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٤) .

(٦) إضافة من ابن الفرات . (المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣) .

(٧) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٦ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣ .

ثم قال: «وحدثني أبي - رحمه الله - قال»[١]: «وكان في مكان يباع فيه الخمر»[٢]، واتفق أن بعض «أهل حلب»[٣] رأى في النوم، وكان مريضا بحمى «...»[٤] من مدة طويلة كأنه في ذلك المكان، وكأن رجلا يقول له: «أي شيء تشكو ؟» فقال: «الحمي» فمد يده إلى تراب من ذلك المكان وقال: «خذه و علقه عليك، فإنك تبرأ، و قل للناس يعمرون هَهُنا مشهدا». فقال: «يل مولاي ا ما يقبلون مني». فقال: «يحفرون هَهُنا فإنهم يجدون صخرة جميع ما حولها من التراب يكون فيه رائحة المسك». فقال له: و من أنت ؟ قال: «أنا علي بن أبي طالب». فاستيقظ الرجل، وقد زالت عنه الحمى، فحدث لأهله بذلك، وأصبح، و خرج إلى ذلك المكان، ووقف يحدث الناس»[٥].

ثم قال: «وكان بحلب رجل يقال له «شُقير السوادي»، «وكان»[٦] يحمل السواد إلى البساتين، وكان فيمن حضر، «فجاء إلى الناس وقص عليهم أنه رأى عليا - رضي الله عنه - وأنه قال له: أعمر في المكان الفلاني مشهدا، وذكر الصخرة على وفق ما ذكره ذلك الرجل»[٧] فنبشوا المكان، فكان التراب يخرج كأنه المسك، {فتطيب به}[٨] الناس، «وجعلوه في أقمشتهم، وكانوا يتطيبون به»[٩] وتاب شقير «عما كان يرتكبه من شرب الخمر، وتولى عمارة المشهد»[١٠]»[١١].

---

(١) إضافة من ابن الفرات . (المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣) .

(٢) في رواية ابن الفرات : « كان يباع في ذلك المكان الخمر » . (المصدر نفسه) .

(٣) في رواية ابن الفرات : « الحلبيين » . (المصدر نفسه) .

(٤) ذكر ابن الفرات كلمة بعد الحمى غير واضحة لنا (المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣)

(٥) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٦ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣ .

(٦) إضافة من ابن الفرات . (المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣) .

(٧) إضافة من ابن الفرات . (المصدر نفسه) .

(٨) في رواية ابن الفرات : « أخذه » . (المصدر نفسه) .

(٩) إضافة من ابن الفرات . (المصدر نفسه) .

(١٠) إضافة من ابن الفرات . (المصدر نفسه) . وكان ابن شداد قد لخص هذه العبارة فقل : « عن أمور كان يعتمدها من الفساد ، وتولي عمارة المكان » . (الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٧) .

(١١) ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٧ ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣ .

ثم قال: «وصار على قدم عظيم من الدين وحفظ القرآن، ولم يزل مقيما بأمور المشهد إلى أن مات. وعمر أيضا مشهدا آخر من شمالي الجسر الذى قدام باب الجنان وشرقي النهر»[١].

مشهد الحسين:

قتل الحسين بن على بن أبى طالب فى كربلاء بالعراق فى يوم عاشوراء عام ٦١ هـ / ٦٨٠ م، ودفن جسده هناك، أما الرأس فأرسل إلى الخليفة الأموى «يزيد بن معاوية بن أبى سفيان» (٦١ - ٦٤ هـ / ٦٨١ - ٦٨٣ م) فى دمشق، واختلفت الآراء بعد ذلك حول مكان دفنه، فقيل دفن بالمدينة المنورة، وقيل عند «باب الفراديس»[٢]، وقيل أيضا فى مدينة عسقلان، ومنها نُقل إلى مصر فى جمادى الآخر عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م، فى عهد الخليفة الفاطمى الظافر بأمر الله (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤م)[٣].

ومن الآراء الأخرى التى قيلت حول مدفن رأس الحسين، رأى ذكره ابن أبى طى، وأوضح فيه أنه اكتشف فى سفح جبل جوشن بحلب، فى عهد الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكى (٥٦٩ - ٥٧٧ هـ / ١١٧٤ - ١١٨١ م)، فى شهر ذى الحجة عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م، وأرجع أيضا سبب اكتشافه إلى رؤية رآها أحد الرعاة القاطنين بدرب المغاربة فى حلب، وهذه الرؤية من أضعف الروايات التى أوردها ابن أبى طى، وقد ثبت بعد ذلك عدم جدواها، حيث ذكر «ابن الشحنة» أن هذا المشهد لم يكن مشهد الحسين، وإنما هو المشهد المعروف «بالنقطة»[٤]، أما مشهد الحسين فاكتشف بالقرب

---

(١) إضافة من ابن الفرات (المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ١١٣) .

(٢) باب الفراديس : يقع في غرب مدينة حلب (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٤) .

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٠ - ٧١ ؛ أبو الفداء : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ٢٠٧ هامش (٣) ؛ السيوطي : الخلفاء ، ص ٣٤٧ ؛ الكاظمي : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤) مشهد النقطة : سمي بذلك لأنه قيل عندما وصلت رأس الحسين إلى جبل جوشن وضعت على

منه[١]، ولا يزال باقيا فى حلب، وهو من أجل آثارها، وقام الشيعة

بتجديده بين عامى ١٩٧٨ و ١٩٨٣، وتقام فيه شعائر يوم عاشوراء[٢].

قال ابن شداد عند عرضه رواية ابن أبى طى عن هذا المشهد: «وهو فى سفح جبل جوشن، وكان السبب فى إنشائه ما حكاه يحيى بن أبى طى فى تاريخه: «أن رجلا راعيا يسمى «عبد الله» يسكن فى «درب المغارية»، وكان يخرج كل يوم لرعى الغنم، فنام فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بعد صلاة الظهر، فرأى فى نومه فى المكان الذى بنى فيه المشهد كأن رجلا أخرج نصفه من شقيف الجبل المطل على المكان، ومد يده إلى الوادى وأخذ عنزا. فقال له: يا مولاى ! لأى شئ أخذت هذه العنزة وليست لك ؟ فقال: «قل لأهل حلب يعمرون فى هذا المكان مشهدا، ويسمونه «مشهد الحسين». فقال: «لا يرجعون إلى قولي». فقال: «قل لهم يحفرون هناك»، ورمى بالعنز من يده إلى المكان الذى أشار إليه. فلما استيقظ رأى العنز قد غاصت قوائمها فى المكان، فجذب العنز، فظهر الماء من مكان قوائمها، فدخل حلب، ووقف على باب الجامع القبلى، وحدث بما رأى. فخرج جماعة من أهل البلد إلى المكان الذى ذكر فرأوا العلامة على ما وصف

الأرض ، فسالت منها قطرة دم فوق صخرة ، فبنى عليها الحلبيون هذا المشهد ، وهذا المشهد لم يعد له أثر ، وقيل أن هذه الصخرة نقلت بعد خراب المشهد إلي مشهد الحسين بحلب . (الغزي : نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ؛ الأسدي : أحياء حلب ، ص ١٧٦) .

(١) ابن الشحنة : نزهة النواظر ، ص ٧٨ . كان ابن الشحنة قد اعتمد في روايته عن مشهد الحسين علي رواية ابن أبي طي التي أوردها له ابن شداد ، ثم قطع اقتباسه من ابن شداد ، وذكر رأيه عن المشهد الذي ذكره ابن أبي طي ، وأوضح أنه مشهد النقطة وليس مشهد الحسين ، ثم واصل اقتباسه من ابن شداد ، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلي أن الغزي اعتمد في روايته عن مشهد الحسين علي ابن الشحنة ولم يفرق بين رأي ابن أبي طي ورأي ابن الشحنة ، ثم وصف رواية ابن أبي طي بالاضطراب (الغزي : نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ؛ محمد أسعد : الآثار الإسلامية ، ص ٧٠) .

(٢) الغزي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ؛ محمد أسعد أطلس : المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ الأسدي : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

وكان هذا الموضع الذى ظهرت فيه العين فى غاية الصلابة بحيث أنه لا تعمل فيه المعاول، وكان به معدن النحاس قديما، فأنبطوا العين فثرت وغزر ماؤها[١]. ثم خطوا فى ذلك المكان المشهد المذكور، وتولى عمارته «الحاج أبو نصر الطباخ» وأخذ له الجمال يوسف بن الإكليلى طالعا يوم الشروع فيه، فكان القمر فى الأسد على تثليث المشترى[٢]»[٣].

موقف الشيعة الإمامية فى حلب من المذاهب والفرق الأخرى فيها:

تناول ابن أبى طى فى كتاباته علاقة الشيعة الإمامية فى حلب - الذين كانوا على حد قوله أغلبية أهلها فى مطلع القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى - بغيرهم من المذاهب بها، فأمدنا بتفاصيل مهمة عن علاقتهم بالصوفية من أهل السنه من خلال كتاباته عن إنشاء أول «خانقاه»[٤] فى حلب، كما تناول علاقة الشيعة الإمامية مع الشيعة الإسماعيلية من خلال مواقفهم من محاولات الإسماعيلية إقامة مقر لهم فى حلب.

١ - خانقاه البلاط:

---

(١) أورد ابن الشحنة ملخصا لرواية ابن أبي طي حتى هذا الجزء. (نزهة النواظر، ص ٧٨).

(٢) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ١٥٢ - ١٥٣؛ الغزي: المرجع السابق، ص ٢١١؛ الأسدى: المرجع السابق، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٣) في اعتقادنا انتهى اقتباس ابن شداد من نص ابن أبي طي هنا، لأنه حدثنا بعد ذلك عن ما ذكره جده « الشيخ إبراهيم بن شداد بن خليفة بن شداد » عن بناء المشهد، ثم تناول التطورات التي طرأت عليه حتى عهد الظاهر بيبرس، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلي أن بعض المراجع الحديثة - ومنها « الغزي » - نسبت النص كله لابن أبي طي. (ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ١٥٣ - ١٥٦؛ الغزي: نهر الذهب، ج ٢، ٢١١ - ٢١٢؛ محمد أسعد أطلس: الآثار الإسلامية، هامش (٢)، ص ٦٩ - ٧٠؛ الأسدي: أحياء حلب، ص ٣٤٩ - ٣٥٠).

(٤) الخانقاه أو الخانكاه: كلمة فارسية معناه بيت، وقيل أصلها خونقاه، وهو الموضع الذي يأكل فيه الملك، وهي حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة، وانفرد بها خواص أهل السنة الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة وعرفوا باسم « المتصوفة »، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالي. (المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٤١٤).

من الآثار الدينية التى تناولها ابن أبى طى فى حلب كان بناء أول خانقاه للصوفية بها فى عام ٥٠٩ هـ/ ١١١٥ ـ ١١١٦ م، وهى خانقاه «البلاط»[١]، وروايته عنها تعد من أهم الروايات التى أوردها عن تاريخ حلب، لأنه كشف من خلالها كثير من الجوانب المهمة عن المجتمع الحلبى، وعن موقف الشيعة من بناء الخوانق، وانفرد بكل هذه التفاصيل، واعتمد فيها على روايات والده وجده الذين كانوا معاصرين لتلك الأحداث، وفاقت روايته الروايات الأخرى التى أشارت فقط إلى بناء هذه الخانقاه[٢].

بدأ ابن أبى طى روايته بذكر قيام لؤلؤ الخادم ـ القائم بتدبير أمور حلب فى ذلك الوقت ـ ببناء الخانقاه، ثم حدد موقعها، وعدد أبوابها، فقال: «وفيها شرع الأمير لؤلؤ صاحب حلب فى عمارة الخانقاه التى فى «البلاط» من قبلى المدرسة المستجدة فيه أيضا، ولها بابان، باب يخرج إلى مقابل دار «الوزير النحاس»[٣]، وباب يخرج إلى رحبة سوق البلاط، وهى أول خانقاه بنيت بحلب»[٤].

ثم تناول ابن أبى طى موقف الشيعة الإمامية من بناء هذه الخانقاه، وأوضح انهم رفضوا هذه الفكرة رفضا تاما، وعللوا رفضهم بعدة أسباب: اجتماعية، واقتصادية وسياسية، ودينية، فقال: «فثقل ذلك على جماعة الحلبيين من الشيعة وأشفقوا منه، ومشى بعضهم إلى بعض، وقالوا إنا نكره مجاورة هذه الطايفة، فأنهم أهل بطالة، مع ما فيه من تطرق الغريب إلى السكنى بحلب وكشف أحوالنا[٥]، وصرف أولادنا عما هم معتادوه من

---

(١) البلاط : محلة بحلب . (ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٥٩) .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٧؛ ابن شداد : المصدر السابق ، ج ١، ق ١، ص ٢٣٣

(٣) هو أبو نصر محمد بن الحسن بن النحاس : قبض عليه وقتل في عام ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م . (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٠) .

(٤) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .

(٥) أساس التصوف هو الانقطاع لعبادة الله تعالي ، ولهذا وفر لهم القادرين من أهل السنة كسب عيشهم من خلال الأوقاف التي وقفوها علي الخوانق التي كانوا يقيمون بها ، ولهذا وصفهم الشيعة بالبطالة وكان يقيم بهذه الخوانق أيضا الفقراء الصوفية القادمين من مختلف أنحاء البلاد الإسلامية ، ولهذا

شظف العيش وخشونة المأكل والملبس، وأن سكنى هذه الطايفة تعُب على المشاحنة والعصبية ووقوع الفتن»[١].

ثم أكد ابن أبى طى هذه الأسباب مرة أخرى من خلال ما حدثه به أباه عن جده حول طبيعة المجتمع الحلبى من جميع الجوانب فى مطلع القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى، وهى من الروايات المهمة التى رواها عن والده، الذى كان معاصرا لتلك الفترة، وبدأ روايته بتوضيح التقسيم المذهبى بها، فقال: حدثنى أبى بذلك عن أبيه بهذه الحكاية، وقال لى أبى وقد سألته عن سببه فقال: أسبابه كثيرة، فإن أهل حلب كان أكثرهم إمامية، وما فيهم إسماعيلية ومصريين، وفيهم الأقل من أهل السنة، فكلهم كرهوا ذلك مذهبا وعصبية»[٢].

ثم واصل ابن أبى طى رواية والده عن طبيعة المجتمع الحلبى فى المأكل والملبس، ومنها يظهر ما كانوا هم عليه من التقشف ـ وسوف يذكر والد ابن أبى طى أسباب ذلك فى ختام روايته ـ قال ابن أبى طى: «وأيضا فإن أهل حلب كانوا منفردين عن أخلاق الناس فى المأكل والملبس والعشرة، أما مأكلهم: فاللحم «بالادام»[٣] المعروفة المتعاهدة، «كالسماق»[٤]، و«حب الرمان» وفطيرهما. وحدثنى أبىَ أنه ما عرف أحد فى حلب «حلواء السكر»، ولا عملت إلى قريب أيام «السلطان نور الدين

اعترض الشيعة علي مجاورة الصوفية . (المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤١٤ ـ ٤١٥) .

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .

(٢) المصدر نفسه والورقة .

(٣) الأدمة : بضم الألف « الخُلطة » ، والأدم بضم الألف : ما يؤكل بالخبز أي شئ كان . (ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٩٥ ـ ٩٦) .

(٤) السمّاق : له ثمر حامض به عناقيد فيها حب صغار يطبخ وينبت بالشام (المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٦٨) .

ابن زنكي»[١] ؛ وكانت ملابسهم: القطن والكتان، وعمائم القطن و..... الحمر، وكان ملابس الكبرا والعدول الثياب «الملحم»، والعمائم الكبار....، وحدثنى أبى قال:... أكثر الحلبيين وهم بالأحناك على هيئة العرب»[٢].

ثم شرح والد ابن أبى طى لهجة الحلبيين فى كلامهم، ومدح أخلاقهم، كما علل أسباب تقشفهم فى المأكل والملبس، وأمدنا أيضا بمعلومة مهمة توضح استعداد الحلبيين العسكرى الدائم لخوض المعارك، قال ابن أبى طى: «والغالب فى كلامهم عقد القاف... اشيا من أحوالهم يطول شرحها من طهارة رجالهم ونسائهم من الفساد، واشتمالهم على الديانة والعفاف». ثم قال ابن أبى طى: «فقلت:... كانوا يصنعون ذلك أم جهلا ؟ فقال: إنما كانوا يصنعون ذلك مُداراة عن أموالهم وحراسة لها، وكانوا يغرمون فى القطايع التى للفرنج جُل أموالهم. وكان فى آخر وقت فى زمن الأمير «زنكي»[٣]

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن زنكي الملقب بالملك العادل نور الدين : ولد في عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م و تولي حلب بعد مقتل والده في عام ٥٤١هـ / ١١٤٦ م ، وامتدت دولته وشملت العديد من البلاد الإسلامية والتي استردها من الصليبيين ، وسوف تتناول كتابات ابن أبي طي العديد من هذه الفتوحات وسنوردها ضمن أحداث كتاباته عن الدولة الأتابكية . وكان نور الدين محمود قد قام ببناء العديد من المدارس والبيمارستانات في حلب ودمشق ، وأوقف أوقافا عديدة علي المرضي ومعلمي الخط والقرآن وساكني الحرمين ، وأقطع أمراء العرب ليكفوا عن مهاجمة احجاج ؛ كما كان كثير القراءة في الكتب الدينية ؛ وكل هذه الأعمال جعلت « ابن الأثير » يضعه في أعلي مكانة خلف الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ، وتوفي نور الدين محمود في عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤م . (ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦٣ ، ١٧٠ ؛أبو شامة : الروضتين ، ج١ ، ق ١، ص ٩ ـ ١١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ١٨٤ـ ١٨٥ ، ١٨٧؛ ابن كثير : البداية ، ج ١٢ ، ص ٨٠٠) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ .

(٣) هو أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب بالملك المنصور : ولد في حدود عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م وتوفي والده وهو في العاشرة من عمره ، فتربي في كنف أمراء الموصل . ثم تولي بعض المناصب في الخلافة العباسية ، ومنها شرطة البصرة في عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م وشرطة بغداد في عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، ثم تولي الموصل في عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م ، واتسعت دائرة ملكه فاشتملت علي بلاد الجزيرة وحلب وحماه . وخاض العديد من المعارك الصليبية ، و كان من أهمها

«أتابك»[١] لا يتمكن أحد من لبس ثوب فاخر وعمامة فاخرة حتى نُودى عن ذلك جعلهم إلى الرييس يقام به....، قال أبى: ولم يكن يومئذ أحد بحلب إلا وعنده آلة الحرب، فإذا حضرت الحرب خرج إليها الناس من غير استدعاء»[٢].

وبعد أن انتهى والد ابن أبى طى من وصف المجتمع الحلبى أكد مرة أخرى أسباب رفضهم بناء هذه الخانقاه، قال ابن أبى طى: «وكان أعظم إنكار الحلبيين بناء الخانقاه دخول الفساد على أولادهم ونسائهم من سكنى الغريب من طهرانيهم، وقد شاهدنا الناس وقد صاروا من الفساد إلى الغاية التى كرهوها»[٣].

ثم عرض ابن أبى طى تفاصيل المقاومة التى حدثت من جانب الشيعة أثناء قيام لؤلؤ الخادم ببناء الخانقاه، والإجراءات التى اتبعها بعد ذلك مع المعارضين من الشيعة حتى ينتهى من بنائها، كما أورد ابن أبى طى أول من دخل الخانقاه من مشايخ الصوفية فقال: «و بلغ لؤلؤ إنكار الحلبيين بناء الخانقاه فألح فى عمارتها، فاجتمع جماعة من الحلبيين إليها فى الليل وهدموها، وبلغ ذلك لؤلؤ فامر بجماعة من الحلبيين فاعتقلوا حتى تمت عمارتها، وأجلس فيها «شيخ الشيوخ أبا الحجاج يوسف بن الربيع المروزي»، وهو أول من دخل حلب من مشايخ الصوفية»[٤].

نجاحه في استرداد إمارة « الرها » الصليبية في عام ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م . وقتل زنكي أثناء حصاره قلعة جعبر في عام ٥٤١ هـ/ ١١٤٦م . (أبو شامة : الروضتين ، ج ١، ق ١ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ، ٧٣ ـ ٧٤ ، ٧٥ ـ ٧٨ ، ١٠٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ ابن وأصل : مفرج الكروب ، ج ١، ص ٢٨، ٣٠) .

(١) أتابك : يعني الولد الأمير . وأول من لقب به « نظام الدولة » وزير السلطان « ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي » (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢م) ، عندما فوض إليه ملكشاه تدبير أموره في عام ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م . (القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٤ ، ص ١٨) .

(٢) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ١ ، ورقة ٩١ ـ ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٩٢ .

(٤) المصدر نفسه والورقة .

هكذا أوضح ابن أبى طى من خلال رواية والده تفاصيل بناء أول خانقاه للصوفية فى حلب، وكما رأينا فقد ظهر من خلالها أحد اوجه الخلاف بين مذهبى الشيعة والسنة من ناحية، ومن ناحية أخرى كشفت الرواية مدى حرص الشيعة الإمامية فى حلب فى مطلع القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى على الحد من انتشار المذاهب الأخرى بها.

وقد لفت انتباهنا انه كان من بين مؤلفات **ابن أبى طى** كتابا بعنوان: «**أخلاق الصوفية**»[1]، ولعله بعد قرن تقريبا من بناء الخوانق فى حلب، قرر أن يكتب ما لاحظه عن الصوفية، ونعتقد انه اختلف فيه فكره عن والده، لانتشار المذهب السنى فى حلب وتقلص المذهب الشيعى بها فى القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى.

العلاقة بين الشيعة الإمامية والإسماعيلية فى حلب:

أظهرت كتابات ابن أبى طى عن فرقة **الإسماعيلية الشيعية فى حلب مدى كراهية الشيعة الإمامية** لهم، وقبل البدء فى عرض تفاصيل هذا الموضوع، نوضح أولا نبذة عن انتشار المذهب الإسماعيلى فى حلب.

كان الملك «فخر الملوك رضوان بن تتش بن ملكشاه» (٤٨٨ ـ ٥٠٧ هـ/ ١٠٩٥ ـ ١١١٣ م) أول من شجع الإسماعيلية على الاستقرار فى حلب، واستعان بهم فى أموره وتزعمهم أولا «الحكيم المنجم»، وبعد وفاته فى عام ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ ـ ١١٠٣ م قام بأمرهم رفيقه «أبو طاهر الصائغ العجمى»، وبعد وفاة الملك رضوان بن تتش فى عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م بدأت السلطة فى حلب تتخذ موقفا لتحد من انتشار الشيعة الإسماعيلية فيها، فقام الملك «ألب أرسلان بن رضوان»، بإلقاء القبض على أبى طاهر الصائغ وقتله، كما قبض أيضا على عدد كبير من الإسماعيلية[2].

---

(١) الكتبي : فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٤٢، ٣٠٢؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٦٧، ابن العديم : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٧، ١٦٨ـ١٦٩؛ ابن شداد : المصدر السابق، ج ١، ق ١،

ومع ذلك أخذت أعدادهم تزداد عاما بعد عام حتى أصبحوا بحاجة إلى مقر خاص لهم فى حلب، وهنا كشف ابن أبى طى فى نص يعد من أهم كتاباته عن حلب، عن موقف ثلاثة من رؤساء حلب، وهم: نجم الدين إيلغازى بن أرتق (٥١٢ ـ ٥١٦ هـ/ ١١١٨ ـ ١١٢٣ م)، وأتابك عماد الدين زنكى (٥٢٢ ـ ٥٤١ هـ/ ١١٢٨ ـ ١١٤٦ م)، ونور الدين محمود بن زنكى (٥٤١ ـ ٥٦٩ هـ/ ١١٤٦ ـ ١١٧٤ م)، من طلب الإسماعيلية بتخصيص هذا المقر، كما أوضح أيضا من خلاله طبيعة العلاقة بين الشيعة الإمامية والإسماعيلية فى حلب.

وقد لاحظنا من خلال رواية ابن أبى طى أنهم جميعا لم يصرحوا برفضهم لطلب الإسماعيلية، وإنما كانوا يحرضون الحلبيين على هدم وتخريب المكان الذى حدده الإسماعيلية، ويجعلون من ذلك سببا لرفض طلبهم، لأنهم لا طاقة لهم بمواجهة أهل حلب، ولعل ملوك حلب لجئوا لهذا الأسلوب فى علاقتهم مع الإسماعيلية لاتقاء الفتن والاضطرابات التى يحدثوها واشتهروا بها فى بلاد الشام والمشرق الإسلامى.

وقد بدأ الإسماعيلية فى طلب هذا المقر فى عام ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م، وحدد زعيمهم «أبو محمد» للملك نجم الدين إيلغازى «قلعة الشريف»[1] لتكون مقرا لهم، وقد انفرد ابن أبى طى بذكر التفاصيل الموضحة لهذا الموضوع، وبدأ روايته بعرض المراسلات التى دارت بين نجم الدين إيلغازى ورسول الإسماعيلية، بأسلوب يصور الأحداث كما

ص ٦٥.

(١) قلعة الشريف: أسسها «الشريف أبو علي الحسن بن هبه الله الهاشمي المعروف بالحُتيتي»، رئيس حلب، في صفر عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٥٨ م، خوفا علي نفسه من الحبيين، حيث كان قد انفرد بتدبير أمر حلب بعد مقتل ملك حلب «مسلم بن قريش العقيلي» في ذلك الشهر، وقام سالم بن مالك العقيلي بأمر قلعة حلب، فبنى لذلك القلعة، واقتطعها من مدينة حلب، وبنى بينها وبين المدينة سورا، وحفر خندقا. (ابن العديم: زبدة الحلب، ج ٢، ص ٦٨، ٩٢، ٩٥ ـ ٩٦؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ٦٤ ـ ٦٥).

حدثت، وكشف من خلالها عن حقيقة موقف نجم الدين إيلغازى من طلب الإسماعيلية، والخطة التى نفذها حتى لا يصرح لهم برفضه لطلبهم، ولعله اتخذ هذا القرار حتى لا يعادى الشيعة الإمامية فى حلب.

قال ابن أبى طى: «خرج رسول «أبى محمد» رييس الإسماعيلية بحلب إلى ماردين إلى عند الأمير «نجم الدين يلغازي» ومعه هدية سنية، وقود كثير، ومعه كتاب من أبى محمد، وكان بينه وبين يلغازى مصادقة، يقول فيه: «إننا ضيوفك وقد كثرت تقلبتنا ونريد أن تمن علينا بإطلاق «قلعة الشريف» لتتخذها مَسكنا ومَلاذا نأوى إليه». فقال الأمير يلغازى للرسول من غير توقف و لا تؤدَه: والله قد أمرت البارحة بهدمها، ولو تقدم قدومك لسلمتها إليكم . والتفت إلى كاتبه وقال: أكتب له كتابا بتسليم القلعة إليهم إن كانت على حالها، وفهم الكاتب مراده، فتبأطع بالرسول وأمر الأمير يلغازى كاتبه أن يكتب على جناح طاير بهدم السور الذى بينها وبين حلب، ويقصر سورها الخارج، و أن يصلب جماعة من أهل الحبوس الذى وجبت عليهم الديات، وليشاع أنهم كبسوا فيها وأرادوا تسليمها إلى الفرنج، وان تصعد إليها جماعة من وجوه الحلبيين ببيوتهم وأهاليهم، وان لا يؤخر ذلك. وكتب للرسول كتابا فى أخر النهار وأرسله، فجاء فوجدها قد انهدمت، وقد سكنها جماعة من وجوه الشيعة والسنة، فأعادوا الرسالة: نحن نأخذها ونعمرها. فقال لهم: هذا ثغر قريب من الفرنج وقد صعد إليه وجوه المدينة وأهل الدين و لا يمكننى مناصبتهم فأنى أخاف أن يفسد حال البلد ولو أنكم أتيتمونى فى السر، ولا تظهرون ذلك لكنت بلغتكم عرضكم»[1].

ثم تناول ابن أبى طى موقف أهل حلب والقاضى ابن الخشاب من إشاعة خبر طلب الإسماعيلية قلعة الشريف، ومن خلال ذلك كشف عن طبيعة العلاقة بين الشيعة الإمامية

والشيعة الإسماعيلية، فى رواية مهمة حدثه بها والده وشارك فيها أيضا، فقال:

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٣٩ـ ٤٠ .

وحدثنى أبى أيضا قال: لما أنفذ أبو محمد إلى يلغازى يطلب قلعة الشريف شاع هذا الخبر فى حلب، فاجتمع جماعة الحلبيين وقالوا: أن حصلت هذه القلعة فى أيدى الإسماعيلية ملكوا حلب، والصواب أن نجتمع ونخرب السور الذى بينها وبين حلب، ونسد الخندق ونجعلها من جملة البلد، فجمعهم ابن الخشاب وخربها، ولهذا السبب قتلته الإسماعيلية كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ثم قال ابن أبى طى: وحدثنى أبى قال: أنا فى جملة الذين هدموها»[١].

وقد تناول ابن العديم هذا الموضوع بإيجاز، وتركزت روايته على تنفيذ قرار «نجم الدين إيلغازي» بهدم القلعة[٢].

ثم عرض ابن أبى طى موقف أتابك عماد الدين زنكى، ونور الدين محمود من طلب الإسماعيلية بتخصيص مقر لهم فى حلب، وأوضح أيضا رفضهما لهذا الطلب.

فقال ابن أبى طى عن سبب رفض أتابك زنكى - والذى حدثه به والده - قال: حدثنى أبى قال: وجرى فى أيام «أتابك زنكي» كذلك وطلبها (قلعة الشريف) منه، فاعتذر بأن أهل الدين قد سكنوها، ولا يمكننى أن أجعل على نفسى شناعة»[٣].

أما بالنسبة لعلاقة نور الدين محمود والإسماعيلية، فقد جددوا أيضا فى عهده طلبهم بتخصيص مقر لهم، وطلبوا منه «حصن جبل بيت لاها»[٤]، وقد أوضح ابن أبى طى أنه اتبع معهم نفس أسلوب «نجم الدين إيلغازي»، حيث عهد إلى أهل «جبل سمعان» بتدمير الحصن، وبمقاومة قوات الإسماعيلية، فقال: و حدثنى أبى أيضا أن الإسماعيلية طلبوا من نور الدين محمود بن زنكى «جبل بيتْ لاها» ليعمروا حصنه، فأرسل نور الدين إلى أهل جبل «سمعان» وبلده فى السر وأعلمهم ما عزم عليه الإسماعيلية، وأنهم متى ملكوا

---

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٤٠ .

(٤) بيت لاهَا : حصن عال بين أنطاكية وحلب . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢١) .

هذا المكان ملكوا جميع البلاد، وأمرهم أن يصعدوا جميعهم إلى جبل بيت لاها وتمنعوه منه، ويقاتلون من يصل إليهم لطلبه بحيث يشاهد ذلك رسول الإسماعيلية، فصار إلى بيت لاها من تلك الناحية جماعة كثير فى أكمل عدة وعدد وقالوا: لا نسلم هذا المكان إلى أحد، واخذوا فى قلع أساس الحصن الذى طال على الجبل، وأخرجوا أكثر الحجارة بالنار، فقال نور الدين للإسماعيلية أنا رجل من

المسلمين، وقد قام الجمهور على لما سمعوا أنكم تريدون هذا الموضع ولا طاقة لى بجميع الناس، فأنقطع يأس الإسماعيلية منه»[1].

ثم ختم ابن أبى طى روايته عن هذا الموضوع بعبارة تشير إلى مدى كراهية الشيعة الإمامية للشيعة الإسماعيلية، فقال: «ما وفق الله تعالى الأمير يلغازى والأمير عماد الدين زنكى أتابك وولده الملك العادل نور الدين محمود من الصواب.... من هذا الطريق الذى صدوانه هذه الطايفة الملحدة الخبيثة لكانوا قد استولوا على هذه البلاد وسرت دعوتهم الخبيثة فى الوهاد ....، ولكن الله تعالى حافظ هذا الدين من زيغ المعاندين وفساد الملحدين أسأله إتمام توفيقه وحسن.....»[2].

كما أشار ابن أبى طى فى رواية أخرى إلى سوء العلاقة بين الإمامية والإسماعيلية من خلال ذكره ترجمة القاضى ابن الخشاب، الذى اغتالته فرقة الإسماعيلية فى عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م، بسبب دوره فى هدم قلعة الشريف.

قال ابن أبى طى: «كان أبو الفضل بن الخشاب القاضى من الفضل والكرم والدين بالرتبة العليا، قتله الإسماعيلية فى رأس «درب الزجاجين» من... عند باب المدرسة الغربى خرجوا عليه من الدرب، وكان سبب ذلك أن الإسماعيلية نقموا عليه تخريب قلعة الشريف التى كانت بحلب، وكان قتله بعد «عشا الآخرة» لأنه كان بالجامع فلما صلى عشا الآخرة

(١) ابن الفرات : المصدر السابق ، م ١ ، ج ٢ ، ورقة ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه والورقة .

وعاد إلى بيته وثبوا عليه فقتلوه فى سنة تسع عشرة هذه السنة وحمل إلى التربة التى له بالجرن الأصفر فدفن فيها وجلس للعزا به ولده أبا الحسن رحمه الله تعالى»[1].

(١) المصدر نفسه ، ورقة ٩٩ .